منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2443) السنة التاسعة - الاربعاء (4) نيسان 2012

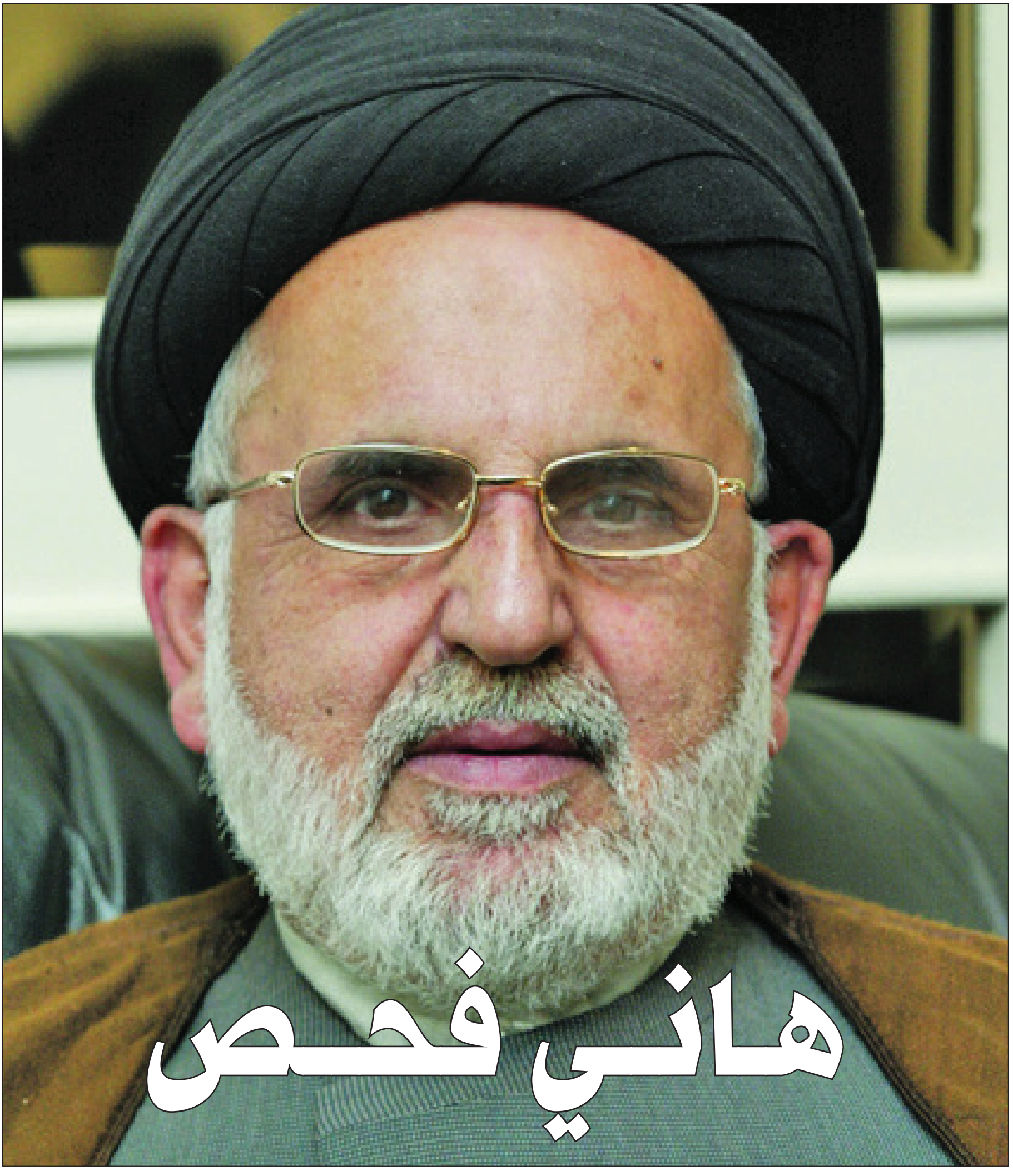

هاني فحص

بورتريه هاني فحص بقلم هاني فحص

الى النجف، من الادب والشعر الى الفقه، من الثورة الايرانية الى حركة فتح، ومن المؤتمر الدائم للحوار اللبناني الى المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى. هذا هو السيد هاني فحص.
ومن هو اقرب من السيد الى نفسه لكي يرسم اهم محطات حياته.
ما يلي سيرة ذاتية للسيد هاني فحص وفق ما نصها قلمه
هاني مصطفى فحص، مواليد جبشيت (النبطية) عام ١٩٤٦، تلقى الدراسة الإبتدائية في القرية والمتوسطة في مدينة النبطية والثانوية بالإنتساب.
هاجر الى النجف (العراق) طالباً في حوزتها الدينية عام ١٩٦٣، ودرس العلوم الحوزية على يد عدد من كبار الأساتذة.
والتحق بكلية الفقه حيث حاز شهادة البكالوريوس في عدد من المجالات واشرف لمدة سنة على مجلة (النجف).
كان في النجف ضمن مجموعة حاولت ان تنفتح معرفياً على حقول علمية مختلفة وعلى الحداثة عموماً وتتعاطى الأسئلة التي تجسد القلق المعرفي.
دخل في نقاشات وحوارات وسجالات يومية حول الأدب والشعر الحديث خصوصاً، وكتب في النقد الأدبي كما كتب عدداً من القصص القصيرة.
عاد من النجف مرغماً عام ١٩٧٢ هارباً من نظام البعث الذي كان يضع الناشطين من رجال الدين امام التبعية والإذعان وإما السجن والتعذيب وإما الهجرة.
في لبنان مارس عمله الديني إماماً لقريته حتى صيف عام ١٩٥٧ حيث تخلى عن هذا الموقع للمرحوم الشيخ راغب حرب.
اثناء ادائه لدوره الديني لاحظ ان المسجد لا يكفي ما لم ينفتح على الحياة خارجه.
وبناءً على ذلك سعى مع عدد من ادباء وشعراء الجنوب للتعاون في منتدى ادباء الجنوب طموحاً الى تحرير الإبداع الأدبي والشعري من وصاية الأحزاب.
واستمر المنتدى ناشطاً مميزاً حتى بداية الأحداث عام ١٩٧٥ حيث قويت جاذبية القطيع السياسي... وفي هذه الأثناء تحديداً في اواخر عام ١٩٧٢ شارك في قيادة انتفاضة مزارعي التبغ المطلبية المحض والتي ما لبثت احزاب اليسار ان سرقتها وسيستها.
في هذه الأثناء اتصلت به قيادات من المعارضة الإيرانية طالبة مشاركته في فعالياتها ضد نظام الشاه.
فاندمج وقدم خدمات اعلامية وسياسية مختلفة. وعندما دخلت الثورة منعطفها عام ١٩٧٨ حمل رسائل من ياسر عرفات الى الخميني ومن الخميني الى ياسر عرفات.... وزار الإمام الخميني في باريس مرتين ورافق عرفات على اول طائرة الى طهران بعد ايام من نجاح الثورة... وظل يتردد على طهران شهرياً واقام فيها وحده لمدة ستة اشهر عام ١٩٨٠ هرباً من مخاطر محتملة من قبل عناصر من الأمن العراقي لوحظت متابعتهم تفصيلياً... ثم عاد الى لبنان ليسافر مع وفود لبنانية قبل ساعات من الإجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ حيث الزمته المرجعية (منتظري) بعدم العودة.
استدعى عائلته الى طهران حيث اقاموا ثلاث سنوات الى صيف ١٩٨٥.. في هذه الأثناء سافر مع وفد ايراني الى الغابون ومدغشقر وكينيا والكاميرون في نشاط حول (القدس) وعمل مستشاراً في مكتب اعلام الحوزة في قم، ومشرفاً على مجلة (الفجر) متواصلاً مع الدوريات والمجلات الفارسية والعربية ومع الإذاعة والتلفزيون ووزارة الإرشاد والوزير وقتها «محمد خاتمي».
ثم تم اختياره عضواً في اللجنة العلمية للمؤتمرات ومسؤولاً ثقافياً لمكتب ائمة الجمعة والجماعة والإتصال بعلماء المسلمين في العالم في رئاسة الجمهورية في عهد رئاسة السيد علي خامنئي.
عاد من طهران عام ١٩٨٥ اكثر واعمق لبنانية وعربية ومن دون اوهام قومية متوازناً بين حركة امل وحزب الله ميالاً بقوة الى الحوار مع كل مكونات الإجتماع اللبناني.
خريف عام ١٩٩٢ وبعدما خاض معركة الانتخابات النيابية قرر ان يتفرغ للحوار.
فالتقى بسمير فرنجية وتم تشكيل «المؤتمر الدائم للحوار اللبناني» الذي يعتبر تجربته فيه اهم المحطات في حياته الفكرية والسياسية... ومن المؤتمر الدائم انفتحت امامه ابواب الصحافة والمؤتمرات المحلية والعربية والدولية فشارك في العشرات منها...
وكان عضواً مؤسساً في الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي وعضواً مؤسساً في «اللقاء اللبناني للحوار» وعضواً في الهيئة الشرعية للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى حيث كان قريباً وشريكاً للإمام محمد مهدي شمس الدين في مرحلة شديدة الدقة والحساسية.
استقال من الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين بعد مؤتمره الأول ثم تم اختياره عضواً في اكاديمية اهل البيت في عمان الأردن... وعضواً مؤسساً في منتدى الوسطية في عمان كذلك.
ثم اختارته مملكة البحرين بعد نشاط دؤوب له فيها مستشاراً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولكنه اعتذر لعدم تمكنه من الدوام والإقامة في البحرين.
وكانت الـ UNDP تقرير التنمية الدولية العربي قد اختارته في مجلسها الإستشاري الذي ما زال يمارس دوره فيه.
وهو الى ذلك عضو مجلس امناء ومجلس ادارة مؤسسة ياسر عرفات الخيرية الثقافية.
كتب ويكتب في عدد من الصحف والدوريات اللبنانية والعربية.
له ثلاثة عشر كتاباً مطبوعاً وعدد آخر كتبه عام ٢٠٠٨ «ماضي لا يمضي».
ذكريات ومكونات عراقية، «الإمامان الصدر وشمس الدين ذاكرة لغدنا». دار المدى –بيروت.
اسس المركز اللبناني للدراسات والحوار والتقريب وعمل فيه لمدة سنة اصدر خلالها عدداً من الدراسات وتقريراً دورياً موسعاً عن الحالة الشيعية في لبنان... ثم اقفل المركز لأسباب تعود الى عدم توفر الدعم المالي الذي لا يمس بإستقلالية العمل.
عضو المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى.
متزوج من السيدة نادية علّو وله خمسة اولاد بنتان وثلاثة ابناء وله احفاد تخرجوا من الجامعة لأنه تزوج في سن الـ ١٩

أنــا والــعــراق.. فــرصــة رجـائـنـا

هاني فحص

أنـا هـاني فحص اللبنـاني الشيعي، الـذي امتلأت ذاكرتـه بالحرمان والتهميش، وهـو إذ يشعـر .كشيعـي .بأنـه أتيح له من خـلال العلم والعمل والمشاركة، ان يمتلك مقداراً من القوة، إذا ما بالغ فيه خسره، وإن أحسـن استثمـاره بالشراكـة الوطنيـة وبنـاء الدولـة الجامعـة القويـة والعيش المشترك وانتاج المعرفـة وتنمية المـوارد والانفتاح علـى الأشقاء والأصدقاء والحـوار مع الأعداء، لعـل العداوة تتحول إلى تفاهـم أو تسـالم، فإنه يحـول الحرمان التاريخـي إلى استحقاق مستقبلي، بدل أن يحولـه إلى نكد اجتماعي وسياسي يعطل الطاقات ويهدر الثروات.

أنـا المسلـم الـذي يعـاني، وإن كان يشـارك أحيانـاً في حالـة الفصام والتجزئـة والعنـف والارهـاب وتبذيـر المـال وتبديـد المخزونات... ويخـاف على المسلمين من توسيـع مطامحهم فوق الممكن والمستطاع، في أمميـة جربها غيرنا وعـاد بعد فشلها إلى بنـاء أوطانه القومية... ويتمنـى ان يعـود المسلمون إلى مفهـوم المواطنة التـي تمر بالحدود الاقليميـة، وتعـود إلى أوطانهـا، لتحفـظ الجميـع بالجميـع وطنـاً وشعباً.

وأنـا أشـم رائحة رغبـات امبراطوريـة ذات نكهات مذهبيـة، منها ما جربنـاه ونرحب بأهلـه، إذا ما وظفوا تاريخهـم وحاضرنا في سبيل نهوضهـم ومشاركتنا في النهوض، ومنها ما هـو احلام امبراطورية مستجـدة تفضـل القـوة المادية على القـوة المعنويـة، وتفضل النفوذ والاختـراق على الدور الذي لا يتم الا بالتفاهـم معنا، وهي في سبيل ذلـك تستخـدم القضايا الكـبرى، وأحياناً ضـد أهلها، وتخلـط العام الإسلامـي بالخاص المذهبي، وان كان ذلك ضـد مصالح القوم أو أهل المذهب.

أنـا العربـي الـذي حلم وعمـل وضحى وقبـل بالفقر وآثـر العلم على الجهـل مـن أجـل التحرير والتحـرر والتقـدم والوحـدة، فانتهى إلى مزيد من الجهالة والتخلف والتأخر والفقر والجهل والمرض والتبعية والتجزئـة ونفـاد الـثروة وتهديـد الكيانـات بالطائفيـة والمذهبيـة والصراعـات الاتنيـة والحزبيـة. بسبـب فهمـه الناقـص والمشـوه للعروبة، واستقالته من دوره الوطني من أجلها، ومن دون طلب منها، واستقالتـه من شركائه ورفاقه في منتجاتـه الحضارية، بالذهاب إلى العنصرية التي حولت العروبة إلى مشروع يلغي نفسه باصراره على إلغاء الآخر المختلف الشريك.

أنـا الذي كان يرى في مصر ضمانـة في دورها وموقعها وهي تتحول الآن مـن رافعة إلى عبء... وكان ينتظر فلسطين التي ابتعدت ويمني نفسـه بالخـير النفطي إذا مـا هدده الفقـر والخراب... فـيرى النفط يتبخر بفعـل الاصدقاء والاعداء وفعل القصور والتقصير في الإدارة والتنميـة... ويخاف مـن الانقلابات التقدمية التـي أدت إلى مزيد من الموت والفقر والرجعية.

أنـا الذي وجـدت نفسي محاصراً باليأس والاحبـاط وكان همي أن لا أعـدي الآخرين بيأسي، لكنهم يائسون مثلي... ان كانوا في عمري... ويخافون من تسرب اليأس إلى احفادهم بعدما أخذ يدهم أولادهم.

هـذا ولم أتوقف عن البحث عن فرصة للرجـاء. وفشلت أكثر من مرة، إلى ان لاح لي العراق، ولو عن طريق قبلته على مضض، لأنه لم يكن لي أمل في غيره... وقلنا البيت أهم من الطريق إلى البيت، على أن يكون لنـا في العراق بيت... بعدما قيل لنـا ان العواصم الفاعلة مستقبلاً لن تتعـدى ثلاثا: انقرة وطهـران وتل ابيب وخفنا مـن الثالثة، وحاولنا أن نخفـف خوفنا بالطمأنينة في الآخريـن، وان كنا لا نجد ضمانة أو مشجعاً على ذلـك حتى الآن، رغم بعض المظاهر والشعارات العظمى.

إلى ان لاحـت بغـداد الممكنة بـكل المعايير، ومـا ان أصبحت في ايدي ابنائها الذين ضحوا من اجلها حتى بدت بعيدة جداً أو مستحيلة.

لمـاذا أيهـا السياسيـون العراقيـون؟ لقـد انتظرناكـم فـإلى أيـن أنتم ذاهبـون؟ لمـاذا يسـير العراق علـى طريـق الصومـال؟ ألا تكمن أكثر الأسباب في عقولكم ونواياكم وأدائكم...

حرام... عودوا إلى العراق

المقال نشر في صحيفة السفير اللبنانية

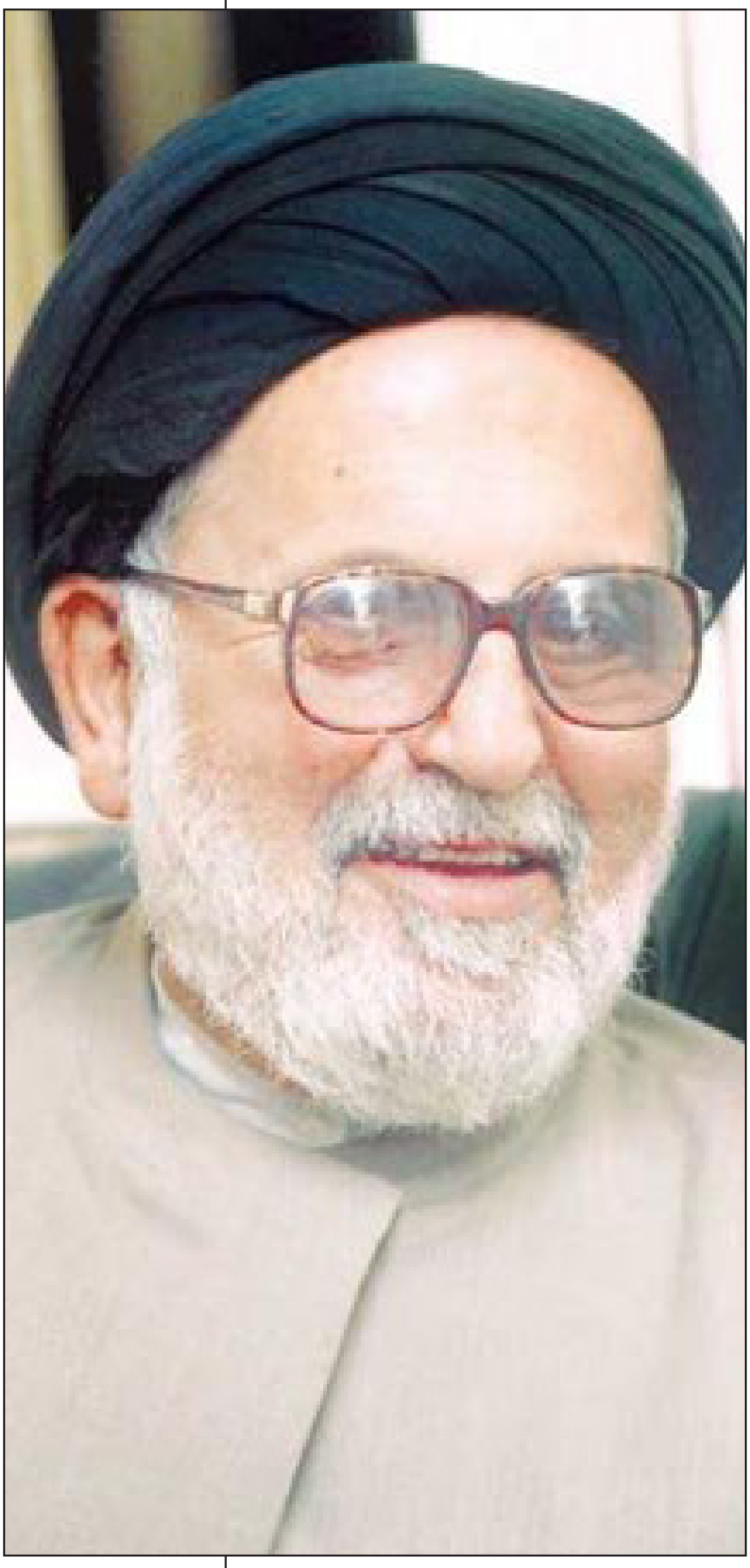

رسالة من شيوعي إلى السيد هاني فحص

حين أناديك مولانا تخرج(نا) الجماعة بقوة لياقات تعلمناها في مخاطبة رجل الدين، ولا أقولها في العادة لكل رجل دين. أما بعد رسالتك الموجهة إلى الشيوعيين، والمنشورة في جريدة (<<السفير>> ٢٠٠٣/٦/٢٠) فأنت بحق مولانا جميعا، نحن الحريصين على وحدة الوطن، لا على وحدة الحزب الشيوعي وحده، ولا على وحدة كل حزب بمفرده، لأنك على حق في أن منطق التجزئة والشرذمة والتفتيت، الذي يكون بمثابة النهج في معالجة الجزء، يصير نهجا في معالجة الكل.

محمد علي مقلد

مولانا في الوطنية من يضع وحدة الوطن معيارا لكل سلوك سياسي في ظل هجمة النظام المعولم التي تهدد وحدة الأوطان في كل مكان على الكرة الأرضية، وتقلص هامش حق الإنسان، كل إنسان، في ممارسة السياسة، وفي ظل الفروع المحلية لهذه الهجمة، العاملة بلا كلل على إبعاد الناس عن السياسة، بل على تجهيلهم السياسي، ليتسنى لها شرذمة المواطنين وشق صفوفهم وإعادتهم إلى حظائر الأفخاذ والبطون والشلل الحزبية والمذهبية، وإلى مستنقع العصبيات المحلية التي تغذيها محاصصات السادة وتشحنها وتوظفها سلاحا للتفرقة، على حساب مصلحة الوطن.

مولانا في الديموقراطية أيضا من تبدأ الديموقراطية عنده من حيث ينبغي لها أن تبدأ، من الاعتراف بالرأي الآخر. ذلك أن تقاليد الزعم الديموقراطي في وطننا وفي بلاد العرب زيفت بما فيه الكفاية العلاقات السياسية بين الأفراد والجماعات حين استبعدت من قاموس ممارستها كل معنى لاحترام الرأي الآخر، وعلبت صناديق الاقتراع، فوق كونها علبا، ثم جعلتها آلة لصنع اللوائح المعدة سلفا والنتائج المعدة سلفا والرأي العام المعد سلفا، والارقام المعروفة سلفا: ٩٩ في المئة أو ما يعادلها قهرا للرأي الآخر أو إلغاء له، بكل الوسائل المتاحة والمبتكرة، بالتخوين والتكفير والسجن والنفي إن لم يتيسر الاغتيال.

أن يعلن رجل دين حرصه على بقاء الحزب الشيوعي موحدا هو استعادة لتراث من العلاقات الودودة بين رجال الدين وحركة النضال التقدمي، كانت قد بدأت مع رجال دين كبار تخرجت من بيوتهم أجيال من المناضلين التقدميين والشيوعيين، وهو ينم عن رحابة في الفكر السياسي ما أحوجنا إليها بعد الانهيارات والمصائر المهددة. وإذا كان هذا التراث قد تعرض للانقطاع في مرحلة من الزمن فلأن كلا من طرفي العلاقة يتحمل قسطا من المسؤولية في ذلك، وفي الحالتين كانت الأصولية، الدينية والماركسية، مصدر التشوش.

مولانا في السياسة من يقرأ جيدا ما استجد في هذا العالم في ظل العولمة والأحادية القطبية، حيث غدا التمييز بين اليمين واليسار أمرا ملتبسا، وبات من الضروري أن يعاد النظر بآليات النضال الوطني والقومي والطبقي، وبآليات تشكل الأحزاب وبرامجها وأيديولوجياتها، من أجل قيام حركة مناهضة للامبريالية تجمع في صفوفها أوسع أوساط المتضررين من تسلط الاقتصاد على السياسة والسياسة على الثقافة. ربما بسبب ذلك باتت مهمة ثورية بامتياز المحافظة على وحدة الوطن في مواجهة مخططات التجزئة ومخاطر الحروب الأهلية، ومثلها السعي الدؤوب لتجديد الأطر الحزبية والحفاظ عليها موحدة، لاسيما في حالة الحزب الشيوعي الذي يشكل انتشاره في كل الطوائف والمناطق والطبقات ضمانة للحفاظ على وحدة الوطن.

أصالة الانتماء إلى التنوع هي اصالة الانتماء إلى دمعة سخية ذرفتها البارحة على كربلاء الغزو الأميركي على العراق، وإلى دعوة حارة لبناء أنظمة ديموقراطية علمانية على امتداد الوطن العربي. لكن العلمانية ثورة لن تنجح من غير دور فاعل يضطلع به رجال دين متنورون من أمثال سيد الكلام، السيد هاني فحص.

عن السفير اللبنانية

الانتماء الانساني..... هاني فحص نموذجا

جعفر الونان

الانتماء لذات ثم للعدد ثم للمجموعه مرورا بتكتل وصولا الى الفئه امر مطلوبا منه اذما كان ذلك الانتماء (انتماء فكريا حرا) اما اذا تحول الانتماء الى ايدلوجيه مؤرخه ذات امتداد ماضوي مصاب بمرض العداء التاريخي ومتخوف من الاخر فتتم مشكله حقيقه يعرفها الباحث البريطاني مارك لà ٦ند (١٩١٢__١٩٧١م) بالكارثه المحطمه ويبقى الانتماء الفكري صاحب اولويه اذ مالم يطغي على الانتماء الانساني اي بمعنى اخر الانتماء الفكري واجب كذلك الاختلاف الفكري شريطة ان لايضعا الانسان امام انتما جزئيا ناقصا ليس مكتملا ويحجبا الضًوء على الانتماء الانساني كذلك الانتماء الانساني ليس حذفا للهويه الانسانيه كذلك الهويه لاتعد ميزه مميزه عن الاخر فالهويه ظاهره تعريفيه لاعلامه تميزيه عن الاخر ويعرف الاخر بجرود هاون بانه من تختلف معه فكريا ويكمل فكركما احدكما الاخر. ويستبعد وجود فكر حر يخلق العدائيه ويسميه فكر ملوث ناتج من الاوعي ومن ثقافات التخلف والعاطفه القاتله. وللانتماء الانساني اعمده واسماء بارزه في المجتمع العربي ابرزهم اليوم هاني فحص الذي جرد نفسه من نوازعه الذاتيه ليلبس ثوب الانسانينه وبالجدير بالذكر ان هاني فحص امتزجت شخصيه بالعراقيه البنانيه وان قال ان احب خالتي اكثر من امي وعندما سئله مجاهد ابو الهيل من هي خالتك ومن هي امك قال النجف خالتي ولبنان امي ومايمز هاني فحص تحرر افكاره ونضوجها وتعامله مع الماضي بانه ياخذ منه مايدعم مسيرته في الحاضر والمستقبل كما انه يرفض ان يكون الانتماء نزعه بشريه بل يعدها صفه بشريه طبيعيه ويعرف نفسه في مجلة الوسط احدى المجلات الصادره في بغداد الى انه مثقفا انسانيا قبل ان يكون مفكرا اسلاميا صاحب تصور ديموقراطي يحاول ان يتخلى عن ذاته من نزعة العنصر والتعالي الى اثبات نفسه بين مشروعين

الاول: حوار الاديان

الثاني: لاقطيعه بين الثقافه والسياسيه احدهما يتمم الاخر

واخيرا يعتقد بان المجمع العربي لابد له من لاينتزع هويته التعريفيه وان يرمي هويته النزعيه الشهوانيه وحب الذات وعداء من يخالفه عقليا وصفاتيا كي يفك قيود التخلف ويركب سفينة التقدم والتطور بشتى المجالات.

مذكرات تعبق بالأسئلة

هاني فحص مستحضِراً سكان الذاكرة

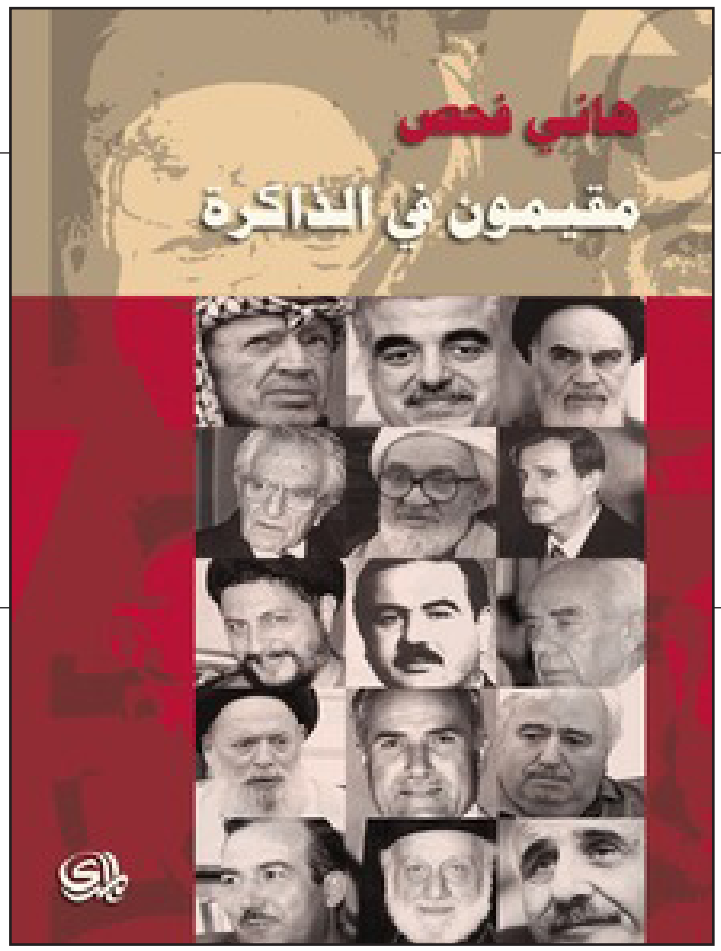

رجال فكر ودين وسياسة يحتلّون كتابه «مقيمون في الذاكرة» (دار المدى - ٢٠١٢) بتقديم للصحافي صقر أبو فخر. تحضر في نصّه إشكاليّة التعدّد، إلى جانب الاستعادة التاريخية لتلك الشخصيات الآتية من منابع إيديولوجية مختلفة. لا يؤرخ فحص لنفسه هنا، بل يقدّم بانوراما موجزة يتداخل فيها الذاتي مع العام، والخاص مع المشترك.

قلقة وخصبة ذكريات السيد هاني فحص. في كتابه «مقيمون في الذاكرة»، يستدعي صاحب «الهوية الثقافية» تسعة عشر شخصاً من رجال الفكر والسياسة والدين. في العمل الذي قدّم له الصحافي والباحث صقر أبو فخر، لا يكتفي فحص بسرد الجانب المشترك بينه وبين هؤلاء، بل يذهب أبعد من ذلك. يخرجهم من أطرهم المعروفة لدى القارئ، ويقدمهم من جديد. كذلك يعيد طرح أفكارهم من وجهة نظره، المختلفة أحياناً عن السائد. في الجزء الثالث من مذكراته، يسعى فحص إلى تقديم رؤية حميمة لأصدقائه. بعضهم عرفهم شخصياً، وآخرون لم يتعرف بهم، إنما يستحضرهم ليطلعهم على أسراره. تبدو هذه الرؤية متقطّعة أحياناً، فتنتقل بالقارئ من حال إلى حال.

بخل مبرّر

ورغم أنّ صاحب «الشيعة والدولة في لبنان» لم يزودنا بما يكفي من المحطات التي خاض تجربتها مع هؤلاء المقيمين في ذاكرته، فإنّ لهذا «البخل المعرفي» مبرراته. ربما لم يرد كشف المزيد من الأسرار عن مكونات شخصياته، فآثر الاحتفاظ بها منعاً للتصادم.

ياسر عرفات، والإمام الخميني، ورفيق الحريري، وخليل الوزير، وكمال جنبلاط، وعباس بيضون، والإمام موسى الصدر، وحسين علي منتظري، والسيد محمد خاتمي، وجورج حاوي، والسيد محمد حسين فضل الله، والمطران جورج خضر، وعادل عسيران، وجعفر شرف الدين، وحسين مروة، وغسان تويني، وشكيب أرسلان، وأنطون سعادة، ومصطفى عز الدين.

هذه القامات السياسية والفكرية والدينية، شكّلت مدار بحث السيد هاني فحص عن ماضيه وغده العابق بالأسئلة. يستنهض الكاتب ملامح هذه الشخصيات في نصّه المتوتر بدءاً من السطر الأول. هذا التوتر، كما يؤكّد فحص، «لا يرويه سوى الحبر».

منابع مختلفة

إشكاليّة التعدّد تحضر بقوة في نصه. ولعلّ هذا الاستحضار التاريخي لتلك الشخصيات الآتية من منابع إيديولوجية ومكانية مختلفة، تبرهن على تعدديّة فحص المسكون بالقلق المعرفي. ثمّة خاصيّة مهمّة يمكن كشفها في كتابه الثالث من سلسلة ذكرياته: الشحّ في المعلومات، وخصوصاً حينما نقارن ما أدلى به هنا بـ«ذكريات ومكوّنات عراقية» و«ماضٍ لا يمضي»، اللذين كان فيهما شديد الالتصاق بالذاكرة الذاتية والجماعية وحمل آمال جيل كامل من الجنوبيين وسواهم، بأحلامه وانكساراته.

لا يزودنا صاحب «الهوية الثقافية» بتفاصيل كثيرة؛ لأنّ الذاكرة السياسية قد لا تسمح له بإضفاء المزيد من الوهج على أولئك الذين استحضرهم ليعيش معهم من جديد. تشترك سيرُ الشخصيات، الخاصة منها والعامة، بقاسم واحد: ثقل الهم السياسي والمشروع الفكري. ورغم غلبة القيادات السياسية على مفاصل الكتاب، فإنّ حديثه عن المعمّمين والمفكرين، أجمل وأنقى، ولا سيما حين يلاقي صديقه المطران جورج خضر، الذي أبدع في الكتابة عنه، وعن العلّامة منتظري وغسان تويني وعباس بيضون.

تعرجات الذاكرة

بين فصول الكتاب، لامس فحص تعرجات ذاكرته ومستقبله الذي حلم به مع تلك الشخصيات. حاول قدر المستطاع نبش بعض التفاصيل من دون أن يصل بنا إلى المشتهى. في «ماضٍ لا يمضي» كان أول رجل دين يطل على زوجته من صفحات كتاب تقرأه «العامّة».

تحت مسمّى «أم حسن» أو «الزوجة بيتاً»، أشار إلى وجود سيدة وزوجة وأم وناقدة، لكن بصفة الغائب. لم يؤرخ فحص لنفسه، بل صوّر لنا بانوراما موجزة يتداخل فيها الذاتي مع العام، والخاص مع المشترك. لهذا، لا تجد في بعض السير التي كتب عنها سوى ملامح لتجربة خاضها من دون أن يكثّف حضوره معها، كما لو أنّه أراد تسليط الضوء عليها، لا على ذاكرته معها.

تقصّد صاحب «الحوار في فضاء التوحيد والوحدة» إخفاء المعنى ليغري القارئ بالتأويل والتخمين، ونجح في ذلك. لم يهدف إلى نبش الذاكرة السياسية فحسب، بل أعاد طرح أفكار الشخصيات. وبدا هذا النهج واضحاً حين عاد إلى السيد فضل الله وإلى الإمامين منتظري والصدر وإلى كمال جنبلاط.

فحص المسكون بأسئلة الغد، رغم أنّ الماضي يريحه أكثر، لم يتوان عن توجيه رسائل خفية إلى من كتب عنهم. يتضح هذا الأسلوب عندما أجرى مقارنة بين كمال ووليد جنبلاط.

إمام الفقراء

القسم الأكبر من الشخصيات الماثلة في ذاكرة فحص، اغتيلت بالمعنيين الرمزي والمادي. وكان من المهمّ أن يستفيض صاحب «ملاحظات في المنهج» في قراءة الأسباب التي دفعت الخميني إلى عزل منتظري. وكان من المهم أيضاً الإضاءة بنحو أوسع على علاقته الفكرية مع السيد فضل الله «إمام الفقراء» كما يسميه.

لم تكن تحولات هاني فحص الفكرية مفاجئة، وقد لمّح إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه. هو الآن في موقع الوسطية، وليس بمقدوره مغادرتها، لأنّها دخلت في شرايينه بعد مخاض طويل. عاد صاحب «خطاب القلب» إلى أنطون سعادة بغية «تحريره» من حزبه. وخلال سرده عن مؤسس «الحزب السوري القومي الاجتماعي»، يعود إلى الإمام جمال الدين الأفغاني، داعية التعددية الذي حيّر الناس في مذهبه.

وهنا يعلن فحص قربه من هذه الشخصية، فتمنى لو أطل عليها مبكراً، ولو أنه حيّر الناس في مذهبه أيضاً.

توتر جمالي

نصّ هاني فحص إيقاعي ومتوتر ومتقطع. هذا النهج أسبغ على الكتاب جمالية أدبية، رغم أنّه قد يفقد السرد نهاياته. الذاتية ليس لها حضور كثيف في مذكرات هاني السياسية، وعلى وقع ثنائية الفصل بين الذاتي والحدثي، سعى إلى تركيب سير شخصيات فاعلة في التاريخ «السياسي والثقافي والديني». أنه بهويته ذات الملامح التعددية الواضحة، كان في إمكانه الذهاب أبعد من المعلومات التي كشف عنها. إلا أنه فضّل منهج التورية، مما جعل نصه مفتوحاً على الفرضيات التي يطرحها قارئ الكتاب، ولا شكّ في أنّه تعمد هذا الأسلوب.

مذكرات السيد في جزئها الثالث تعبق بالأسئلة السياسية والمعرفية، لكنّها تضع هذا الجيل أمام مأزق فشل التجارب أو إجهاضها. والأهم من التجارب نفسها أن ذاكرة الأمكنة والجيل الجنوبي في لبنان الذي استفاض في سرد حيواته في الجزء الثاني من مذكراته، أبهى لأنّها أتت من عرق الفقراء ومن ذلك القلق الذي لا يستكين

في فصل من الذاكرة

أنا عاملي من جبل عامل من جبل القبيلة العربية اليمنية. التي تشأمت فيمن تشأم من القبائل اليمنية بعد سيل العرم وانهيار سدّ مأرب، واستوطنت كتف الجليل... من الجبل الذي اتبعه الصليبيون إدارياً بإمارة القدس... لأنهم ربما كانوا قد قرأوه جيداً... أنا عربي مسلم شيعي هاشمي من نسل الحسين ذي الدمعة نجل الامام علي بن الحسين (زين العابدين) جئنا الى حوران ومنه انتقلنا الى جبل عامل الذي اكتسب معنى اضافياً الى معناه عندما أصبح جزءاً من لبنان دون أن ينفصل عن فلسطين، الامتداد الكلي والقضية.

السيد هاني فحص

على مدى عقود من التجزئة والكيانات التي عادت فترسخت. ظلت لغتي ووجداني وذاكرتي وأشواقي تتمنع على الكيان. تتجاوزه شعراً وأحلاماً، تمر به، تتعامل معه واقعاً. تسافر في سوريتها وعروبتها الى آخر المدى المفتوح والمغلق، الى آخر الرمل والنخيل. وترتدي اسلامها شكلاً ومضموناً على عروبة رأت فيها ولها وظيفة حضارية دونها يرتبك الأداء الاسلامي ولا يصل ودون الاسلام هماً حضارياً انسانياً مفتوحاً واسعاً لها، تصبح محارة فارغة لا تملك الا أن تتقوقع على هواء وتعتدي لتحيا أو تعيش ولا تحيا ولا تعيش...

واذا ما كان التشيع قد غلب علينا وكان رؤية لدينا فانه بمقتضى هذه الرؤية لم يحبسنا ولا حبسناه، لم يقطعنا، بل أعاد دمجنا وتأهيلنا للفعل في السياق الملائم مكاناً وزماناً واتجاهاً، لقد اتخذناه نهجاً يغلّب مصلحة الأمة على مصلحة الفئة، مسترشدين بفقه أهل البيت (ع) وأخلاقيتهم وسلوكياتهم، منضبطين بها.

مرة حصلت مشادة بيننا وبين الشيخ ظاهر العمر ثم انهمكنا واياه بقيادة ناصيف النصار في معركة ضد أحد الظلمة من الولاة قبل قرنين ونيف من الزمان وانتصرنا معاً... وكنا من قبل قد تعاملنا مع السلطة العثمانية من دون عقد، عارضنا لما فيها من جور نسبي، شأن بقية العرب والمسلمين، وعندما طغى الجور وارتفع منسوبه رفعنا من وتيرة معارضتنا وحجمها، دون أن يصب حبنا في طاحونة الآخر... الخارج، العدو... بل كنا اذا ما تصدى الخارج، أي خارج، لهذه السلطة بالعداء والصراع، سرعان ما نتنازل ونأخذ موقعنا في الصف الواحد مقابل الخارج المعتدي، وعلى لساننا وفي الأعماق منا المأثور من قول علي (ع) عندما أشيع في صفين أن جيوش ملك الروم تهاجم أطراف الشام، قال علي (ع): والله لو فعلها ابن الأصفر. ملك الروم. لوضعت يدي في يد معاوية أو لقاتلت تحت لواء معاوية أو كما قال... في حين كان معاوية باجماع المؤرخين قد صالح ملك الروم على جزية وفيرة ليتفرغ للصراع الداخلي.

وفي أواخر القرن الماضي، كان الارباك قد بلغ غايته في أداء الدولة العثمانية، زمن عبدالحميد، فانعكس ضعفاً وتفككاً وامتد جوراً. وعسفاً يميل المنصفون الى التخفيف من مسؤولية عبدالحميد عنه، لكونه وارثاً ومستهدفاً لا مؤسساً مقترفاً فقط، وقد أصابنا في جبل عامل الكثير من الآثار السلبية لهذا الوضع، فكيف تعاطينا معه؟

رأينا الغرب وراءه، يريد من ورائه اسقاط الدولة العثمانية، لا عقاباً لها على جور ترتكبه ازاءنا وازاء الأطراف الأخرى من ديار السلطنة، بل عقاب على ما حققته من وحدة حسب منظور الغرب، وهنا أجرينا حساباتنا الشرعية وحكمنا معيارنا، معيار المصلحة والمفسدة، مصلحة الأمة بالطبع، فكنا مع عبدالحميد بوضوح قاطع، بائنين في ذلك أو متزامنين مع موقف ومسعى القائد المجاهد جمال الدين الأفغاني (السني الشيعي معاً بشجاعة وانسجام يغري العقلاء)، الذي رأى الغرب يتوحد ليعد موحداً لعدوانه على الدولة العثمانية مركزاً وأطرافاً... وكان السيد الأفغاني من قبل يناصب الدولة العداء لاستبدادها وظلمها ويريد أن يسقطها هو، بيده ولحسابه - حسابنا - لا أن يسقطها الغرب بيده ولحسابه أو بيدنا لحسابه، ولملم السيد مبادئه وشرفه وحميته وعلمه ووعيه وذهب الى الأستانة ليقف الى جانب عبدالحميد مشيراً ناصحاً كاد أن يثمر لولا أن تدخل الصهاينة والماسونيون ليحدثوا الشرخ بينه وبين عبدالحميد الذي اقترف خطيئة الغضب على الصهيونية والمعاندة لهرتزل ولم يفرط بفلسطين... وقد كان من انجازات جمال الدين على هذا الطريق ما أحدثه من فتحة واسعة في السد الذي كان قائماً بين الدولة العثمانية وايران القاجارية باتجاه الوحدة في مواجهة العدوان الغربي، قياساً على التجربة التي تمت بعد محاصرة دمياط من قبل الصليبيين بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية ممثلة بالسلطان الشهير نور الدين محمود، وغني عن البيان أن جمال الدين كانت له يد في مصرع ناصر الدين شاه ايران الذي انكفأ في لحظة عن هذا المسار الوحدوي فقتله ميرزا رضا كرماني تلميذ جمال الدين ومريده في المكان نفسه الذي سبق للشاه أن سجن فيه السيد جمال وعذبه في احدى ضواحي طهران...

هذا ليس حدثاً فرداً في تاريخنا الذي يتعامد فوق الجراح والفوارق والمسافات. بل له جذور وتقاليد سابقة وتجليات متعددة، مضمونها الأساس المصلحة المضبوطة بفقه توحيدي وأخلاقية نبوية امامية، تعطي الأولوية للخطر الخارجي بما يقتضي ذلك من تعطيل تلك الصراعات الداخلية والمشاحنات.

بعد معركة «جالديران» في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، واحتلال تبريز عاصمة السلطنة الصفوية من قبل العثمانيين وهروب الشاه اسماعيل الى أصفهان، عاد العثمانيون بعد أكثر من قرنين

ليجدوا في المصداقية الشيعية في العراق اشكالية لا تحل بالعنف والعداء، وكان لابد من تعديل في التوجه العثماني في العراق على تعقيدات كثيرة وشائكة، وحصل التعديل فعلاً، وتصدى العلماء لدورهم التوحيدي فكان الشيخ جعفر الكبير .كاشف الغطاء .المرجع، رسول خير بين الطرفين العثماني والصفوي، لم يرسله أحد، بل ندب نفسه للرسالة، فقرب ما قرب وحلّ ما حلّ من اشكالات ومشكلات ووفر كثيراً من المتاعب والخسائر والدماء والمصالح، وعنه ورث حفيده المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هذا الموقف التوحيدي عندما أمّ المصلين المؤتمرين في القدس عام ١٩٣٦ وهم قادمون من أقطار العالم العربي والاسلامي في مواجهة التحدي والعدوان الصهيوني ومن بعد جاءت مذكرته الشهيرة .الكتاب. (المثل العليا في الاسلام في بحمدون) وثيقة ناصعة في مواجهة محاولة الغرب العدوان على الاسلام بتقويض قيمه السياسية التحررية من الداخل.

وامتدت المواقف والمسالك والمعايير عاملة فاعلة الى ما بعد سقوط عبدالحميد ووصول الاتحاديين الى السلطة بما فيهم من سوء وعنصرية وعصبية وماسونية... وعندما أكل المخلصون الطيبون من المشاركين في المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣ الطعم الاستعماري بطرح الاستقلال الذاتي الملغوم بالانفصال لبلاد الشام، توسل الاتحاديون التتريكيون بخصمهم العروبي المسلم الشيعي الصلب عبدالكريم الخليل ليذهب الى باريس ويقنع المخلصين من المؤتمرين بأن الاستقلال الذاتي ليس الا غطاء لنوايا التجزئة والاحتلال، وذهب واقنع وأحدث ارتباكاً في المؤتمر بعدما كان أحد المؤتمرين المسيحيين القادمين من أميركا الجنوبية بصفاء وبُعْد نظر عظيم قد قدم اقتراحا بإدراج بند الأخطار الخارجية على بلاد الشام على جدول المناقشة فسقط الاقتراح بالأكثرية الساحقة أو الاجماع!! لأنه – حسب التعليل – ما من خطر على بلاد الشام سوى الخطر العثماني!! عشية الحرب الأولى؟.

وكانت الحرب، وسقطت السلطة العثمانية التي كنا قد أصبحنا معها، كما كل المسلمين لأن عدوها هو الغرب... (أذكر المرحوم عجاج نويهض عام ١٩٨١ وقبل سنة واحدة من وفاته كيف كان يروي لنا ويبكي ذكرياته عن الأمير العظيم شكيب أرسلان وهو يخطب في قرى المتن الاعلى يستحث الأهل على التطوع للدفاع عن الوطن وهو يبكي بكاءً مراً وكيف أنه جهز كتيبة قاتل بها في ليبيا...) وبكاها – السلطة العثمانية – عالمنا المرجع التقي السيد محسن الأمين بقصيدة طويلة.

وحاولنا انقاذها في العراق وهي على مشارف السقوط دون حساب للربح والخسارة، في ثورة العشرين التي قادها علماؤنا بنبل وبسالة وشهامة ما زلنا نفتخر بها وسنبقى.

وطوال فترة حكم الاتحاديين كان الشريف حسين، وبسبب صلف الاتحاديين قد وقع في قبضة مكماهون، وكنا في الخط المقابل، الى أن سقط الاتحاديون، فانفتح باب التناقض والتناحر بين حسين واسرته وبين الغرب، وانكشفت المؤامرة وأصبح الحسين وأسرته موضوعياً في مواجهة الغرب، وهنا أصبحنا مع الشريف حسين دون تردد لأننا ضد المستعمر، وعندما أراد المستعمر أن يدرجنا في مشروع التجزئة بإعطائنا دويلة مسخاً في جبل عامل، وأرسل لنا لجنة كينغ كراين لتستفتينا –أفتينا قيادة وقاعدة، علماء وزعماء وجمهوراً واسعاً، أفتينا بالوحدة... وعندما اشتدت الوطأة علينا، عقدنا مؤتمر الحجير وطيرنا مذكرتنا من هناك الى فيصل في دمشق والى العالم والتاريخ، على يد العلماء قائلين: ان جبل عامل جزء من سورية بحدودها الطبيعية.

قفزاً على المراحل والعقود والسنوات والأيام والأحداث والتواريخ والمناسبات... من منا لا يذكر فرحنا بالثورة المصرية... والجزائرية... ووو؟؟؟

ورحلاتنا أطفالاً على ضيق ذات اليد الى دمشق للمشاركة في أعراس الوحدة والدبكة على ضفاف بردى والعيون معلقة على شرفة قصر الضيافة و«حموي يا مشمش»! من منا، نحن جيل أطفال الوحدة وفتيانها من لا يقول لزوجته وأطفاله لو مرّ الف مرة على طريق دمشق – بيروت هذه ميسلون ويوسف العظمة؟ ويمتد حبل الذكريات... سعيد العاص وأحمد مريود وابراهيم هنانو وحسن الجزار وسلطان باشا ووو. الى آخر الثورة العربية الى أدهم وصادق وسليمان النابلسي وسليمان الحلبي وسليمان خاطر وأبو علي أياد وأبو جهاد والأخضر العربي وكمال ناصر الخ... والله وبالله وتالله لم يكن فرحنا بعبدالناصر فرحاً بالاشتراكية بل كان فرحاً بالوحدة وحسب... لم تكن علاقتنا بالوحدة مشروطة الا بشرط العدالة والحرية والديموقراطية.

ومن دمشق صالح العلي والقسام وجول جمال وبدوي الجبل وأدونيس كنا ندلف الى بغداد، من دمشق حبل سرتنا الى العلم والأدب... من السيدة زينب وحجر بن عدي الى النجف وكربلاء، الى علي نهج البلاغة والسبط الشهيد والأحفاد، ونعود مفعمين علماً وأدباً ولغة عربية وقراراً بالجهاد ضد الفرنسيين والصهاينة واحتضان المقاومة الفلسطينية والصبر على الخطأ لأن جبل الجليل شقيق جبلنا ورفيقه الى الأبد لم يغب عن عيوننا وشوقنا أن نرى القدس من قممه... ولهجة عراقية ومصطلحات يومية من الاستكانة، لكوب الشاي ذي الخصر اللطيف والفم المذهب الى «النومي بصرة» الحامض العماني... الى المائدة وأصناف الطعام من المسمّى الى القيمة الى الفسانجون... الى المراثي التي تصل بنا الى آخر الحزن فنفرح ومن فرحنا نقاتل الأعداء...

عندما نفقد أباً عزيزاً نصغي الى سكينة بنت الحسين في (الحسجة العراقية):

هضيمة يا بويا والله هضيمة/ أنا صير من زغري يتيمة

أتاري الأبو يا ناس خيمة/ يفيي على بناته وحريمه

وعندما تضيق بنا السبل والأوطان والسجون والأفكار والضلوع والمشاعر... عندما نشتاق الى النجف وحواريها والكوفة ونخيلها وبغداد ودجلتها وأبي نواس والكميت ودعبل الخزاعي والحلاج والكرخي وأبي حيان التوحيدي والشريف الرضي والجواهري والرصافي ورفائيل بطي وأنستاس الكرملي ومصطفى جواد وغائب طعمة فرمان والسياب وعبدالحسين العبدالله وموسى الزين شرارة وعلي الزين والحوماني وفتى الجبل وجورج جرداق وبولس سلامة ومعروف سعد والشيخ راغب ومحمد سعد نصرخ مع مظفر النواب:

يكضن ورد يا ديرتي لحسنك وموتن عالتبن شوقي الك شوق القطا التايه وموعات الدهن

همّينه أذوق مّيتك واركض بزخات المزن دونك يحز بلوزتي الخنجر... عيب اون واذا ما اشتقنا الى الحبيب قلنا مع مظفر:

من ظني كظك بالحلم عنبر فحت

ردت أجيبك جست روحي وفرفحت

ويفتخر ثلاثة من أولادي الخمسة على اخوتهم بأنهم عاشوا في العراق بعضاً من عمرهم... وتفتخر احدى ابنتي على الجميع بأنها ولدت في الكوفة... في حي كندة، في حي الكندي والمتنبي على مقربة من الشهيد هيثم التمار الذي صلب على النخلة، ومسجد الكوفة حيث جرح ابن مراجانة علياً (ع)، وقصر الامارة البائد كغيره من القصور، وهاني بن عروة ومسلم بن عقيل سفير الحسين... على مقربة من شط الفرات والكناسة وآثار ديارات النصارى وحيرة المناذرة وبيت علي بن أبي طالب (ع) الذي مازال قائماً... في الستينات كنا نتمشى على الرمل، نطالع شجر العاقول ونبات الحنظل ونقرأ التاريخ في رمل الكوفة.

ذات أصيل رأينا أحد أمراء البيان العربي المرحوم الشيخ أمين الخولي مرتبكاً قرب منزل الامام علي (ع) قلنا ما بك أيها الأستاذ؟ قال: الولية حتقتل نفسها... وجدناها... الدكتورة عائشة عبدالرحمن – بنت الشاطئ – تمرغ راسها وجبينها في تراب جدران بيت فاطمة الزهراء (ع) وتبكي حتى النشيج... تبكي من الفرات الى النيل.... من أحمد شوقي الكردي، أمير شعراء العرب، الى محمد مهدي الجواهري الفارسي سلطان الشعر العربي:

«أنا ابن كوفتك الحمراء لي طنب بها وإن طاح من أركانه عمد».

عن كتاب (ماضي لا يمضي) الجزء الثاني

هاني فحص وتنويريته

عبدالله خليفة

يطرح السيد هاني فحص المثقف والشيخ القادم من لبنان خطاباً غير معتاد في الثقافة الدينية، فهو ديني يؤسس حداثة، وهو رجل ديني شيعي يناضل من أجل توحيد المسلمين، وهو معممٌ يدعو إلى دولة لادينية، وكل هذه السمات لم تتشكل بسهولة إلا في بلد هو ذروة للتطور الثقافي العربي الإسلامي المسيحي، رغم ان مثل ظاهرة

السيد هاني فحص تتكرر بشكل نادر في أقطار أخرى عربية وإسلامية ولكنها لا تكاد تُلحظ بسبب عدم النشاط السياسي والاجتماعي لأصحابها، وهو الأمر الذي تواجد فيه السيد هاني كذلك، فجمع الفكر المستنير والممارسة النضالية.

والمتحدث السيد في إحدى الندوات التي أقامها له الأستاذ عبد الهادي مرهون نائب رئيس البرلمان، وأدارها وافتتحها الأستاذ حسن مدن، ذو خلفية فكرية وفقهية واسعة في الإسلام، بحيث إن إجاباته العديدة في شئون الفقه والقضايا الفكرية والتاريخ كانت تفيض بمعلومات متفجرة مبهرة، وبحشود من أسماء من فقهاء محدثين وقدامى ومن لقطات كثيفة عن الصراعات السياسية في المشرق خاصة.

ولكن الورقة الأساسية التي قدمها الأستاذ في الندوة حول «الأصولية»، كانت بلا موضوع محدد، فهي تتناول الأصوليات، حسب تعبيره، والتي تتمظهر لديه في الأصوليات: الإسلامية، والمسيحية واليهودية، والتي يعتبرها السيد متماثلة في إنتاجها للخطابات المنغلقة، حيث هي أصولية مقفلة، وتحول الصراع السياسي إلى صراع ديني وتشكل السياسة الخرابية. وهو يحلل هذه الأصوليات بشكل فكري تجريدي، وليست باعتبارها تكوينات اجتماعية تاريخية، فيحلل الأصولية المسيحية وتداخلها مع ظاهرة الإمبريالية، ثم يعود للتاريخ الإسلامي مبتدئاً منذ البداية بلمحات لا تكاد تُظهر شيئاً من ملامح التاريخ الإسلامي، مقتطعاً أقوالاً من الإمام علي ثم متوجهاً لسرد التاريخ الإسلامي كله بومضات لم أصل فيها إلى معنى ما. فهو حين يحلل التاريخ الإيراني يركز على الدولتين الصفوية والقادرية، ولا نعرف لماذا اختارهما من جملة التاريخ، وماذا يريد أن يقول بشأنهما؟ ثم يتقدم إلى التاريخ الحديث كذلك وإلى نشوء الدولتين الفارسية والعثمانية الطائفيتين.

لعل هذه السردية المعقدة هي نتاج أول لضخامة الموضوع غير المركز على حقبة ما، ثم للمصطلح غير الدقيق المستعمل، وهو مصطلح «الأصولية»، حيث يعتبر الحركات الدينية حركات أصولية، وكلمة الأصول تعني أصول الدين، وليس الفروعية فيه، ولكن الحركات الدينية هي حركات سياسية مذهبية ذات تاريخ طويل متعدد ومتناقض السمات، من حركات معارضة مدنية كالقدرية والمعتزلة والمرجئة، وحركات مذهبية إنسلاخية كالخوارج والإثنا عشرية والإسماعيلية، وحركات محافظة كالمذاهب السنية، وحركات دينية حديثة لها أسس اجتماعية مختلفة الخ.. أن كلمة الأصوليات كلمة تجريدية تقفز فوق البُنى الاجتماعية المحددة التي تتشكل المذاهب الدينية داخلها، وهي لم تعط الباحث إمكانية أن يقرأ علاقات التيارات الدينية بتشكل المراحل والطبقات، حيث ان الفترة المحمدية التحويلية هي غير فترات تكون الإقطاع السياسي والديني الذي أعاد تشكيل الموروث الديني في ظل سيطرته الأسرية، ولم تستطع الفئات الوسطى المدنية أن تقوم ببلورة منحى تحديثي شامل في الأزمنة التالية لحد التاريخ الراهن. «إن لحظة الإمام علي ولحظة الإمام الباقر هما لحظتان مختلفتان سياسياً ورؤياوياً». وبعدئذ يتوجه السيد هاني إلى العناصر التحديثية المنتجة في مختلف المذاهب لكي يشكل فقهاً معاصراً مرناً لكل المذاهب، متوجهاً إلى توحيد المذاهب، عبر تخليها عن نزعاتها المنغلقة والمتشددة، لكن على أن تظهر دولة لادينية، تكون للمواطنين جميعاً، ومن هنا يرفض أن تتحول التنظيمات الدينية إلى دول صغيرة تقدم الخدمات العينية للناس، بدلاً من أن تلقي أعباء هذه الخدمات على الدولة، وهو يعتبر تشكل الدولة ووجودها الحضاري هو القضية المحورية، خاصة على الخلفية اللبنانية، ويناقش الجوانب الإيجابية للدول القطرية، وعموماً يدعو إلى تأسيس دول حضارية بدلاً من دول الطوائف والأحزاب العشائرية والأديان.

عن جريدة الخليج الاماراتية

هاني فحص: علقت صورة غيفـارا في النجف

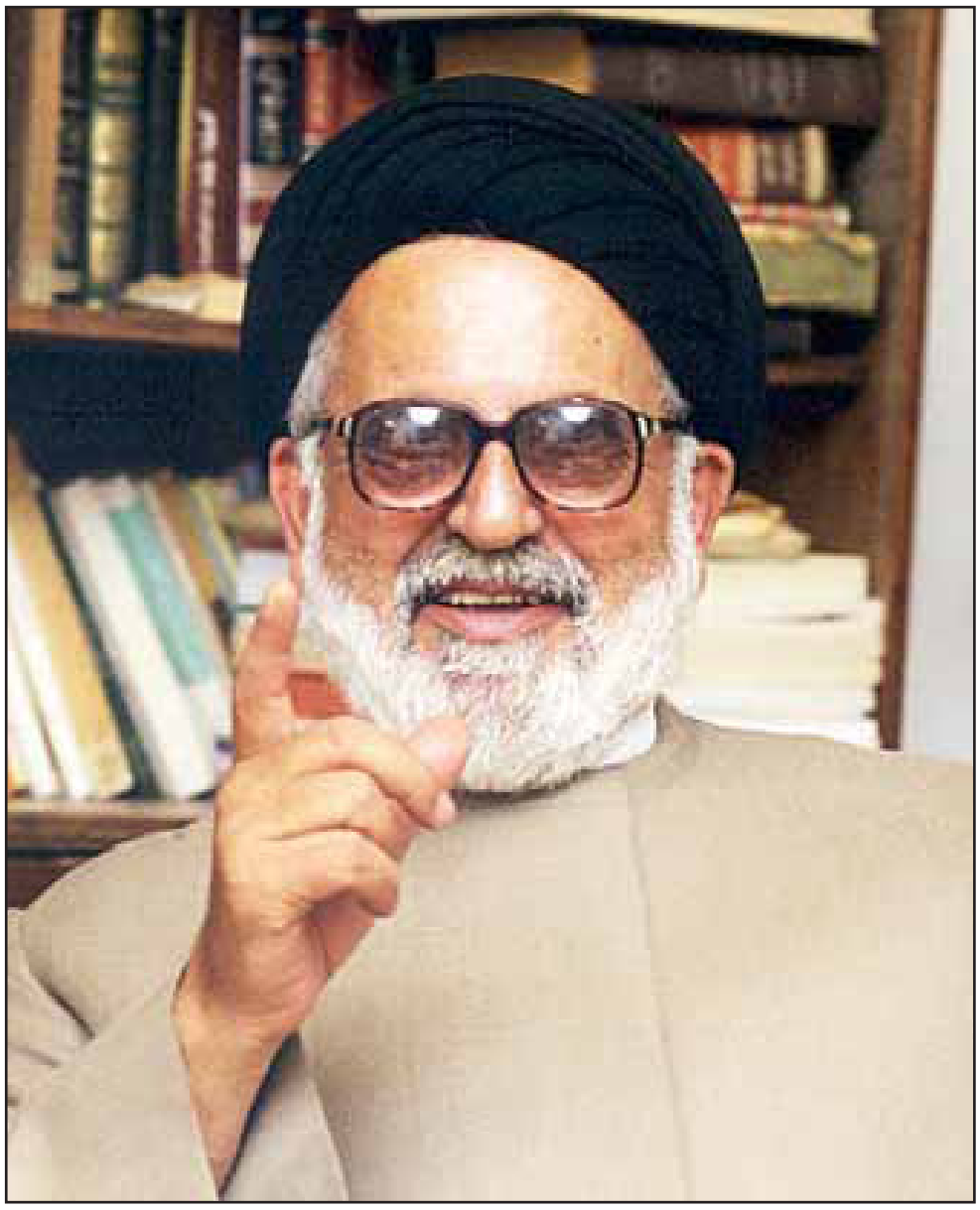

هاني فحـص: آفـة الأمة العربية أن ربعها أميون

شغل المفكر الإسلامي اللبناني الدكتور هاني فحص الساحة الثقافية والدينية والسياسية بآرائه المعتدلة، وعبر قراءات لسماحة السيد الماركسي ـ كما يطلق عليه ـ كارل ماركس، وبدر شاكر السياب، وادونيس، ومحمود درويش، وغيرهم من أعلام الفكر والثقافة استطاع أن يتعرف إلى أسماء كثيرة، ويكوّن أفكاراً خاصة، وإشكالية. علق الشيخ صورة الثائر العالمي ارنستو تشي غيفارا في منزله في النجف، وانشغل بالهمّ الثقافي العام في الوطن العربي، وأسهم في تقريب المسافات بين الطوائف المسلمة، وقاد الحوار المسيحي ـ الإسلامي مع أقرانه المعتدلين من اجل وأد الفتن بأشكالها كافة في بلاده، ونادى بضرورة التقريب بين الأديان، والتشارك في الحياة بين الجميع، وعدم ترك المجال للمتعصبين في كل مذهب يحتكرون الرأي وسط غيبة المعتدلين، ورأى أن العرب بحاجة إلى حوار مع الآخر، حتى مع اليهود الذين هم بحاجة إلى قراءة جديدة، أوسع من الصهيونية التي تريد احتكار دينها. وعبر عن تخوفه من استمرار الصراع بين الديانات «إذا ظلت الأديان التوحيدية تتصارع بهذا الشكل، وتركت موقعها المسؤول للمتطرفين من المنتمين لها، فسوف تبحث الأجيال عن دين آخر قد يكون هو اللادين».

وارتبط فحص ـ حسب تعبيره ـ بأبرز قضية انسانية وعربية، قضية فلسطين التي يعدها المحرك الأول والأخير لقضايانا العربية، وقال في حوار مع «الإمارات اليوم»: «أنا متّهم بحب فلسطين، وهذه اجمل تهمة، وهناك من يأخذ عليّ هذا الحب، اعيش على الاعتبار الفلسطيني فهو مصدر حياة بالنسبة إليّ». معتبراً أن كثيرين يحسبونه «عراقياً وبحرينيا ومصرياً وأردنياً، فالهوية تشكل بالنسبة إليّ تداخلاً عربياً، بل هي الحيوية التي أتحرك من خلالها».

محمد السمهوري

شرطي الثقافة

ويضيف فحص «عندي بطاقة هوية متعددة الألوان، وهذا أحد مصادر فرحي وحيويتي، رائع أن تحب الآخر، وأن يحبك، من دون أن تفقد ذاتيتك الخاصة، وهذا يذكرني بعبدالحميد الكاتب وابن المقفع، حينما ذهب العسكر لاعتقال الأول، فقال كل واحد منهما: انه هو، فضاع الشرطي».

ويوضح فحص «نحن نريد أن نضيع شرطي الثقافة مع تمسكنا بهويتنا الوطنية، ودول عربية قوية تحمي شعوبها وبلدانها، وبذلك تحمي حقوق الآخرين، وهذا مفهوم للوحدة العربية الجديدة من دون أوهام وتسرع».

وعن واقع الأزمة الثقافية العربية التي هي موضع اهتمامه يقول «تبدأ العافية عندما يقرّ المريض بمرضه، وبحاجته إلى العلاج، ويكون محباً للحياة والعمل، فهل نحن محبون للحياة والعمل، يجب أن نتعرف إلى مرضنا، هناك تقصير ثقافي لابد من علاجه، لا نبدأ من الصفر، هذا المقتنى والمخزون لا يجب أن نعيش عليه يجب أن نضيف إليه».

ويرى أن الآفة الكبرى التي تتعرّض لها الأمة العربية هي أن «أمتنا ربعها أميون، أمية مطبقة، نصف نساء الأمة العربية أميات، إذن من يقرأ وماذا يقرأ، الكتاب العربي يزداد عددا هل يزداد قراء؟ هناك تناقص في عدد القراء. وأي كتاب يقرأ.. تتطور الطباعة، والإنترنت فتح علينا كهوف الماضي».

عصبيات

ويدعو المفكر الإسلامي الى تفكيك نظام الثنائيات التي تصبّ في اذكاء ذاكرة العصبيات «وتضعف الجسد العربي العام، وليس مجرد بنائه الثقافي (شرق غرب/ عربي قومي/ مسيحي اسلامي)، من اجل اكتشاف المساحة بين الطرفين التي تمكن الأديب والعالم والفنان من أن يلعب بالمعنى المسرحي مع هذه الثنائيات، ويكتشف سر الوحدة في المتعدد، وسر التعدد في الواحد»، مستدركاً أنه لا يكرس لثقافة العزلة، بل من وجهة نظره «الشك والسؤال هما مفتاح المعرفة، وهذا يؤدي بنا الى ثقافة الآخرين، ويشجعنا على الكف عن تنظير العزلة والاكتفاء بمقولة (صراع الحضارات) أو الثقافات، الحضارة التي تتصارع مع الأخرى لا تكون حضارة، فالصراع ينسب للحضارات مجازا، والمثقفون متحضرون، وهذا ينسب لهم، والثقافة الجامعة المركبة هي الثقافة الأكثر حيوية، والأكثر قدرة على تجديد نفسها بشرط الموازنة الدقيقة بين المحلي والعالمي، والمحلي والقومي، وتقديري أن المحلية تتحقق في النص الأدبي والعلمي والفني وهو ذروة العالمية».

مجتمع مدني

وعلى عكس كثير من الأصوليين والسلفيين يطالب المفكر الإسلامي بمجتمع مدني يحمي الجميع «مجتمعنا الذي كان من المفترض أن يكون مدنياً لم يتشكل، المعايير ليست مدنية، أداؤها ليس مدنياً، يجب أن يتطور الى المدنية بشكل ما. انعكس ذلك على الثقافة بغض النظر عن جمالية النص او احقية النص»، مشيراً الى بعض ظواهر التعصب في عالمنا العربي «هناك ظواهر نراها مثلاً في مصر، اجد واحداً يحمل القرآن، وآخر يحمل الانجيل، وهذا مصدر تشاؤمي، والتشاؤم ليس انسحاباً».

ويؤكد رئيس المركز اللبناني للدراسات والحوار والتقريب على اهمية وجود الدولة وحمايتها لأفراد المجتمع «برأيي الدولة ضرورة اجتماع، ومن دون الدولة لا اجتماع، وعندما تقصر الدولة في تحقيق هذه الضرورة وتتحول الى محض سلطة اختزالية طبقيا أو عرقيا أو دينيا أو طائفيا يفقد الفرد شعوره بالأمان والاحتضان والمراقبة والقانون والحق، وفي غياب الدولة يذهب الفرد الى جماعته الدينية او الطائفية ليستقر». مضيفاً أن غياب الدولة، بالمعنى الجامع والحاضن أي أن تدير الاختلاف لا أن تعمقه او توسعه، يصعّد الطوائف مع غياب الأحزاب المدنية ايضاً، ويستدعي ماضيها، والماضي سهل أن تستدعيه.

الاعتدال والحوار

ويوضح فحص دوره في غير محفل فكري وفقهي وثقافي «توجهي وما أقوم به ليس استثناء، هناك تيار اعتدال غير معبر عنه تماماً، أنا لو كنت ألمس رفضاً لهذا الاعتدال او هذا التوجه، لكنت اتحفظ على الأمل في الاعتدال، وخطاباتي تلقى رضاً حتى في اوساط المتعصبين»، مؤكداً اهمية الاعتدال وتقريبه للمجتمعات والأفراد والأنظمة «الاعتدال جميل وأقرب الى الحق والحقيقة، المعتدل لا ينقلب الى التطرف، والمتطرف ينقلب الى الاعتدال او الأكثر تطرفاً، والمتوسط عمراً بإمكانه أن يكون شاهداً، وأن يشارك في ترجيح الاعتدال على مستوى الدولة، وأن تودع المسألة في عهدة الشباب المتعلم والمثقف، ولديه معرفته بمجتمعه، وذاته وأكثر اقتراباً للواقع».

ويطالب فحص بتكوين جزر للحوار والتقريب بين أصحابها، حتى لو احتاجت إلى وقت طويل، موضحاً «أدعو الى تيار الاعتدال، وتكوين جزر للحوار، والوصل بينها حتى تثمر، علينا ألا نستعجل، نزرع نخيلاً لا وردا، الورد جميل، لكن النخيل يحتاج الى وقت طويل، وحكمة، وصبرا، وأكثر قدرة على الحياة ومواجهة العواصف والجفاف والصقيع».

الأسئلة الأولى

ويقول فحص عن اروقة الدراسة في حوزة النجف التي تلقى فيها علومه الفقهية والثقافية والفكرية المختلفة «هناك تعرفت إلى الآداب والفكر، والعالم في النجف حوزة تقليدية اساس عمارتها الحرية، وكانت

منفتحة على رياح خارجية، وفي محطات كثيرة كان للنجف دورها الرائد، وانفتحتُ على ادب المهجر وأتيح لي أن أقرأ بدر شاكر السياب وادونيس ومحمود درويش، وارغون، واليوت، وبريجير».

ووسعت الأسئلة مدارك فحص، كما يوضح «تعلمنا في النجف أن ننغمس في السؤال، ونقرأ ماركس وسارتر ومجلة الطليعة والهلال، وأن نناقش الأمور وننشغل بين الثابت والمنهج، وقرأنا نهج البلاغة، كما قرأنا لابن عربي والحلاج وحلم العدالة والإبداع».

ويحكي عن حبه للقائد الثوري غيفارا الذي اصبحت صورته وأفكاره محط إعجاب العالم بأسره، وأنها كانت قد وجدت طريقها الى النجف ايضا، ويقول «أحببت غيفارا ولم تجر إدانتي عندما علقت صورته في بيتي في النجف، وإنما كانت هناك دهشة؛ دهشة غير مألوفة، لم أعاقب عليها بالمعنى الحوزوي، ولم أعاقب على الأسئلة والشغب، حققت محبة في اوساط من اختلف معهم»، مؤكداً أنه يتمنى أن تتحول تلك الصورة إلى مناح كثيرة في الحياة، بعيداً عن التعصب لرأيٍ واحد، أو رؤية تصادر غيرها من الرؤى، مطالباً بالقبول بالآخر، والحرية «من دون عنف مرجعي مباشر أوغير مباشر».

قراءة جديدة

الاعتدال هو الفكرة التي يناضل من اجل تكريسها المفكر الإسلامي، وأساس حضوره وقبوله من قبل الجميع ومن كل الطوائف والأديان، فالاجتهاد الفكري كان عنوانه، ويقول «في رأيي أن مقولة (النص توقف عند السنة) رأي مبالغ فيه، لا يستطيع احد أن يمنع الاجتهاد، ولم يتوقف. والخليفة العباسي (القادر) لم يوقف باب الاجتهاد، لأن هناك موضوعات مستجدة، وهناك مستجدات في الموضوعات نفسها، لابد من تكييفها فكرياً ومذهبياً، بسبب المتحول، ودائما هناك جدل بين الثابت والمتحول».

ويتابع «محمود شلتوت والغزالي وآخرون مجتهدون، العيب على الدولة حين تحاول إتباع العالم والفقيه، وهذا حصل في الوسط الشيعي والسني معاً»، مبيناً أن الاجتهاد غير المنظم وغير المضبوط، ينتج الآلاف ممن يدعون بالمجتهدين، وهم غير ذلك.

ويرى فحص أن «الحصيلة التجديدية في التراث الشيعي ليست اكثر من غيرها، الإشكالية إسلامية عامة، في رأيي أن الذي يميز الشيعة هي مسألة التقليد بالمعنى الفقهي. العالم السني مهما بلغ من العلم فتواه غير ملزمة والمرجع ليس هو بل الذي يقلده، بينما الشيعي ملزم بتقليد المجتهد، وهذا عامل تماسك وعامل ضبط، لذلك أنا لا أخاف من ممارسات السلبية المحدودة عند الشيعة او التوترات الحادة التي تظهر احيانا ومن شأنها أن تستمر، لأن هناك ضوابط بسبب المرجعية. بينما في الوسط السني تقريبا المرجعية مهزوزة، ومن هنا يأتي التعدد والانشقاقات الدائمة، وتكوين الجماعات الفرعية المتناحرة».

ويؤكد المفكر الذي يعتمد الخطاب العلمي في قراءته وتحليله أن «العلاج هو في تشغيل او تنشيط التعددية المرجعية على اساس المعايير العلمية، والأخلاقية وهذا يحفظ الحرية والأخلاقية في الممارسة الدينية، بينما المطلوب عند السنة اعادة تكوين المرجعية بمعناها الذي يتضمن الالتزام، من دون عنف مرجعي مباشر او غير مباشر»، ويشير «من هنا بالذات، من وجود المرجعية وتعددها، تأتي حرية الشعب في قراءة النص ومراعاة المستجد والمعرفي والحياتي في أوساط رجال الدين والعلماء المدنيين».

ويبين في هذا السياق التحليلي المشكلة كما يراها «في الوسط السني المرجعية غير متحققة، والتقليد يأخذ طابعاً ماضوياً تصبح فرصة اعادة قراءة النص على ضوء المستجد او نسبية القراءة ضيقة، وفي وسط الفقهاء خصوصاً أن الفقهاء محكومون بالمزاج الشعبي (الجمهور)، ما يفسر أن الفكر التجديدي السني في هذه الفترة يكاد ينحصر في علماء مدنيين في الدائرة الإسلامية».

أن تهميش طائفة على حساب أخرى لن يكون لمصلحة فكرة الدولة

ويضيف «عندما تعزلني انعزل، وكما انت تنتج فكر العزلة انا ايضا انتج فكرة عزلتي، وعندما تتسع مساحات الاختلاف تضيق مساحات الاتفاق، يصبح التعدد مشدوداً الى الصراع بدل الحوار، علماً بأن العيش المشترك ثمرة الحوار، ينتجه المجتمع ويحميه العلماء وتحرسه الدولة. فإذا قصرت الدولة وقصر العلماء يختل العيش المشترك، ويهتز نظام المصالح المشتركة، وتصبح مصلحة كل جماعة كأنها مضادة لكل جماعة أخرى. ونتبادل البؤس والفقر والجهل، ونغادر الحاضر الى الماضي لنبرر صراعنا».

أقليات

ويشدد المفكر الإسلامي على ضرورة عدم تهميش الأقليات في العالم العربي «لأنهم مصدر حيوي لكل دولة»، ويضيف «إذا ظل العرب والمسلمون يرتبون وعيهم السياسي والاجتماعي والثقافي على اساس الأعداد فهذه كارثة، وهذه دعوة الى أن تتحول الأقليات الى هوامش ملغومة بكل انواع المتفجرات من اثنية ودينية، المسيحيون في البلاد العربية ١٠٪ والشيعة ١٠٪ وهذه الـ١٠ لا يجوز تضخيمها وجعلها بديلاً للأكثرية، ولكن على الأكثرية أن تحترم اكثريتها ايضاً، أن تتخلى عن بعض حصتها من اجل استقطاب الأقلية وتحويلها من العدد الى المعنى، لأن في ذلك حفظاً لمصالح الأكثرية وثقافتها».

ويؤكد أن تهميش طائفة على حساب أخرى لن يكون لمصلحة فكرة الدولة، ويوضح «إذا تم مثلاً تهميش المسيحي في لبنان فلا داعي لوجود لبنان، اضافة الى أن الأقليات مصدر حيوية، ومن دونها يصبح معنى مصر ولبنان والأردن وفلسطين ناقصاً، وتغيب النكهة الجميلة للمسلم في هذه الأقطار، والتي تأتي من خلال مشاركته مع المسيحي في الحلم والحزن، في القدس وفلسطين، في الأقصى والقيامة»، ويستطرد «عندما يُهمش المسيحيون في لبنان يصبح كياناً فارغاً لا داعي له، الخطر إخلاء فلسطين والقدس من المسيحيين، والأرقام تقول إن نسبة المسيحيين ٢٠٪ الآن في العام ١٩٦٧ ٢٪ عدد المسيحيين، في عام ١٩٦٧ في القدس كان عدد المسيحيين ٥٠ ألفاً، الآن ٥٠٠٠ هذا تهويد حقيقي. المدخل الحقيقي لتجنب هذه المأساة هو الكف عن اسلمة قضية القدس لأن الأسلمة، بالمحصلة النهائية، تفيد الأسرلة».

ويضيف «لنتذكر إشكالية الناصرة بين المسجد والكنيسة التي ادخلت (اسرائيل) على الموضوع الاجتماعي، وكادت أن تودي بوحدة المجتمع الفلسطيني، فلسطين والقدس حق للجميع، حق مستلب للإنسان الفلسطيني، هذا المفهوم يجب أن يترسخ في نظامنا وحوارنا مع العالم». وخلص الى القول «نحن قبلنا في بأوسلو، وأوسلو لم تقبل بنا، كنا مع (أبو عمار) والآن مع أبو مازن الذي يمثل الاعتدال، (اسرائيل) لا تريد اعتدالاً، الاحتلال محرج للتطرف، تريد تطرفاً حتى تبرر تطرفها، علينا أن نتشارك نحن والمسيحيون خصوصاً، مع اليهود، في قراءة اليهودية قراءة أخرى من اجل انسنتها». وعبر عن تخوفه إذا استمر الصراع بين الديانات «إذا ظلت الأديان التوحيدية تتصارع بهذا الشكل، وترك موقعها المسؤول للمتطرفين من المنتمين لها، فسوف تبحث الأجيال عن دين آخر قد يكون هو اللادين».

أيام عبدالناصر.. أجمل أيام العرب

ويرى فحص أن أفضل المراحل التي عاشتها الأمة العربية هي مرحلة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، ويوضح «خطأ أن نقول إن الحروب تخلق العصبيات. ذاكرة العصبيات تخلق الحروب، هناك نقد للمرحلة الناصرية في مصر، لكن في تلك المرحلة ازدهرت الرواية والمسرح، فالكتابة المسرحية فيها تحد، وهذا يحتاج الى نظام سياسي. العلة في النظام المعرفي، أليست مشكلة أن مسرح المدينة في بيروت مغلق؟، وبيروت الأم فيها احتمال واحد يقوم به المسرحي جواد الأسدي من خلال مسرحه».

وتساءل عضو الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي عن دور الجيل الذي يجب أن يكمل المسيرة «في السينما بعد أن مات المخرج يوسف شاهين هناك ١٠ أشخاص يمكن أن يكونوا يوسف شاهين الجديد، أين الفرص المتاحة لهم.

هاني فحص

المفكر الإسلامي والكاتب الدكتور هاني فحص مفكر لبناني، ولد في الجنوب عام ١٩٤٦ من خريجي حوزة النجف عام ١٩٧٢ يكتب في صحف ودوريات عربية عدة، وله مؤلفات كثيرة تُعنى بإعلاء قيمة الحوار، ونظرات في السياسة من منطلق فكري، ومن أهم كتبه «في الوحدة الإسلامية والتجزئة»، و«التهويد الثقافي»، و«ملاحظات في المنهج، المسرح»، و«الحوارفي فضاء التوحيد والوحدة». وشارك في لقاءات عدة للتقريب بين الأديان، والمذاهب المختلفة.

إشراك اليهود في الحوار

ويؤكد فحص أهمية اشراك اليهود في الحوار، بل أشار الى أن «الإسلام كدين عاملهم بشراكة في غير مرحلة، وكانوا جزءا من المجتمع العربي، وفي الأندلس كان المشترك مع اليهود والمسلمين كبيراً، وعلى اساسه بنيت التجربة الحضارية تحت مظلة التوحيد، وعندما خرج اليهود معنا احتضناهم وأشركناهم من المغرب الى اسطنبول مروراً بدمشق والقاهرة، وقلة قليلة جاءت الى القدس».

ويرى عضو الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي أن «المشكلة هي في اختزال الصهيونية لليهودية، نحن قبلنا بهذا الاختزال، ولا نبحث عن اليهودي وهو موجود في فلسطين والعالم، منظمة التحرير الفلسطينية طرحت مبكراً مشروع الدولة الواحدة، وأفسدته الخفة العربية في التصرف، والتي اعطت غولدا مائير ذريعة محاربة الاطروحة ومنع تطبيقها، وجمال عبدالناصر قبل المشروع، وكان منتظرا أن يحصل تواصل عبر المغرب».

جريدة *الامارات اليوم* ٢٠٠٩

هاني فحص مع وليد جنبلاط في تظاهرة دعم للشعب السوري

مذكرات السيّد عن ماضيه العابق بالأحلام

ريتا فرج

لا يبدو أن السيد هاني فحص في سجله المفعم بالذكريات وعبق التبغ والزيتون والزعفران، أشد ميلاً لماضيه رغم قلقه المعرفي، الذي يطرح أكثر من سؤال عن ذاكرة جيل كامل، كونته طيبة التراب، وعرق الفلاحين، وهواجس الغد القادم. "ماضٍ لا يمضي" في جزئه الثاني، ولغته الكاشفة، وسرديته الإيقاعية، وانتقاله من حال الى حال، يعيدنا الى ذاكرة جنوبية مثقلة بالأمل، والمستقبل المنشود، وهو إن دلّ على شيء، فعلى تبلور الطبقة القادمة من الأرياف، الى بيروت، ودخولها في البرجوازية، عبر العلم والثروة. تلك المدينة، الحاضنة للتعدد، التي لطالما ترصدها السيد منذ طفولته وتعرفه على الآخر بلا قناع ديني، أكسبته انتصارات وانكسارات، على قدر ما مر به، هو وأبناء جيله، من صعود وهبوط، أوصلتهم الى ذروة الضوء حيناً، والى وادي الدموع حيناً آخر. كثيفة المشاهد، التي تطرق اليها فحص، وبدءاً من الصفحات الأولى، يدرك القارئ، أن المشترك الاجتماعي والثقافي والسياسي، يمثل صلة الوصل الممتدة بين فصوله، الى أن يحل بنا المقام لاكتشاف معان مزدوجة، ومضطربة، في محطات سيرة الكاتب الذي اكتسب مكوّناته عبر هذا المشترك ومن خلاله.

يؤرخ هاني فحص لبانوراما تاريخية، وإشكالية، يتحرى عنها مع أقرانه، مع شعور بالفارق المعرفي والمكاني، يظهره في فترة لاحقة، من دون أن يتوانى ولو لحظة عن نسيان جذوره، بعد أن تنقلت به التواريخ والأحداث بين النجف وحركة فتح واليسار،

في المؤتمر المسيحي الاسلامي

مع عودة جديدة الى لبنانه، الذي آمن إثر مرحلة التيه والتعصب، بأنه البديل الأمثل لتعدده، وتثاقفه مع الآخر، الذي نقله من نور الى نور، أي نور الكشف، الذي لا يخوضه سوى أبناء التوحيد، من الذين أنعم عليهم الله بلطفه، أي لطف العقل. متعددة المشاهد في سيرة السيد وانتقالاته، وبين الزيتون والتبغ والزعفران، رسم ملامح ذاكرته الحاضنة، لجيل كامل، عانق المعاناة، بأمل، تلحظه مع الكاتب داخل الفصول، المتعاقبة. والأهم، أن السيد يتحدث، بلهجة خجولة، ولكن جريئة عن نادية، زوجته، وشريكته، وربما يكون أول رجل دين يخوض غمار الآخر الحبيب، وفي هذه السطور، يشير الى ضمير الغائب، كأن يقول "اليها" و"هي" و"معها" مع العلم بأن التفكير يختلف عن الاعتقاد كما يؤكد، مطالباً في الوقت نفسه المعممين الجدد، بإستكمال ما بدأه.

انتسابه الى حركة فتح في أزمنة الفوران اليساري والقومي، لم يخف توجسه من مشروع الدولة الإسلامية، لكن متاخراً، ومعاصرته لمنتظري، الذي قال عنه قائد الثورة الإسلامية قبل أن يتخذ القرار بعزله، "إنه ثمرة روحي"، ومعاينته للثورة الخمينية الخفية، وإيمانه بالسيد موسى الصدر، تؤطر كل هذه المحطات والتقلبات، التي ربما ساهمت في تشكله الراهن، لأبرز التحولات الداخلية والاقليمية، التي خاضها على مرمى قلق الشيعية السياسية، التي تعانقت مع حراك كثيف، أخرج من أسماهم هشام جعيط بـ"مجال علي" من الظلمة الى النور، إيماناً منهم بعقيدة اعتراضية، على ظلم سياسي، وليس دينياً؛ عقيدة حولت الحسين من رجل الى تاريخ في عقيدة رجال.

شعار الوسطية الذي تبناه فحص بعد صولاته وجولاته في ديار الإسلام المترامية، سياسياً، وإماماً، وذلك بعد أن اكتشف أهميتها في التسويات، مستشهداً بعمود السما، كمال جنبلاط الذي قال: "التسوية هي الحق والحقيقة"، عاينها عبر تجربته في ابواب متعددة، محدداً فعاليتها، في الاجتماع والثقافة، والدين، والرؤية الى الآخر. وفجأة يظهر جمال الدين الأفغاني، الذي أرهق الناس في مذهبه، فإستدرك الكاتب في لحظتها، ندمه على عدم تتبعه للأدبيات الأفغانية، معلناً انحيازه له، تحت لواء تعددية الإسلام وليس التنابذ بين مذاهبه.

الشخوص والأزمنة والروائح والأمكنة التي كوّنت ماضي الكتاب وغده، تختفي وتظهر في آن، ولو أردنا أن نصف ونحدد ماهوية السيد لقلنا إنه يختفي ويظهر في الوقت نفسه – هذا الأسلوب المعتمد من قبل الكاتب أضفى على ذكرياته، تقطعاً في المعلومات، وما إن تتعقب أي حدث حتى تشعر بضياعه من بين يديك، وفي المقدمة، ينوه فحص بخاصيته، وانتقاله من زمن الى زمن، ومن الذاتي الى الموضوعي، لكن عن عمد أدرك أهمية سرديته وحجم سطوتها على القارئ.

"ماضٍ لا يمضي" سيرة تتخطى الزيتون والتبغ والزعفران، وبصرف النظر عمّا تكتسبه من رونق وألم ومخاض أسهمت بكليتها في تكوين جيل السيد ومن بعده، لكنها تحاكي أجيالاً متعددة، في أزمنة وأمكنة مختلفة، وتجبرنا على مساءلة المعاني والمصائر والماضي الذي بدا لهاني فحص أجمل وأحوى من المستقبل الوافد.

[الكتاب: ماضٍ لا يمضي (٢)
[الكاتب: هاني فحص
[الناشر: دار المدى، بيروت، ٢٠١٠

عن جريدة السفير

ساعتان من المتعة الفكرية مع هاني فحص

محمد حجازي

نادراً ما أمتعنا لقاء أدبي، لأننا ندري ثقل المطوّلات في الابحاث، والشروحات غير المجدية التي نستمع اليها، ولا يعود احد من المتحدّثين قادراً على التوقف عن الكلام، تماماً كما يحصل بين المطربين الذين يكون معظمهم عارفاً ببرمجة حفل ما، إلا أنهم حين يباشرون دورهم في الغناء، ينسون ما سبق وعرفوا ببرمجته بوقتهم ووقت زملائهم.

التفلسف ميزة شبه شاملة.

لكن كل هذا لم يكن حاضراً في اللقاء التكريمي الذي عقده المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في مقره ببيروت احتفالاً بنيل الشاعر الدكتور محمد علي شمس الدين جائزة السلطان بن علي العويس الثقافية، ذهبنا احتراماً وتقديراً ومودة لشعر وشخص الشاعر شمس الدين فكلما قرأناه ازددنا ثقة بأن من الكبار ما زال حاضراً، رغماً عن كل الغيوم المتلبدة في سماء الشعر من لاعبين صغار يقولون ما لا نفهم ونفهم انهم لن يتراجعوا وهم في غيّهم ماضون.

ما يقارب الساعتين.. أمضيناهما في متعة فكرية حقيقية، بداية احببنا تواضع الشاعر وأناقته وقلة حديثه عن نفسه وشرحه لأسباب تأخر الجائزة عنه فكان لطيفاً غير انفعالي، وأديباً غير مدّاح او دبلوماسي كاشفاً انه كان مطروحاً لنيل اولى جوائز العويس لكن هناك ما حال دون ذلك لسبب ذكره ولم يكن يحب ذكره، كرد على اشارة في شهادتين للدكتور والناقد علي زيتون عن شكوك في تأخر الجائزة حتى الآن، ثم والاه الشاعر علي هاشم في قصيدته بالمناسبة، لولا السيد هاني فحص اطلق شهادة طويلة نعم، واخذت وقتاً اضافياً ربما من باقي الحضور الذين ادلوا بشهادات، لكنها كانت جديرة بالنشر بالكامل ومن دون حذف اي حرف او نفس منها، كون المطالعة اشتملت على معرفة وطيدة بالشاعر، وعلى مواكبة طويلة، دقيقة، وعلى اوقات رحبة كانا فيها معاً، فيما راح في كل مرحلة يعطي، رأياً في حقبة معنية من حياة وابداع ووفرة التدفق الشعري عند شمس الدين مذكراً اياه على الدوام بعربصاليم وبيت ياحون، مدققاً في هوية كل قصيدة اتى على ذكرها، لا بل هو تعقبه منذ «الوحام الاول له في القصيدة حتى ولادتها، واكثر ما اجاد حين ساءله عن امور كثيرة في يومياته: هل ينام، هل يأكل.. وألف هل تدليلاً منه على قصر المناسبات والفرص في حياته لكي يرتاح، انه يبدو كمن يكتب ليل نهار ولا يتعب او يتجهّم.

كان السيد هاني مباشراً، كان دقيقاً وفاعلاً ومتماهياً مع المناخ كله خصوصاً عندما حان دور شاعرنا المحتفى به، لكي يقول كلمته شعراً فإذا به يشرح ما سبق وقلناه في المطلع عن جائزة العويس والمبررات التي قدّمها حول تأخّرها في بلوغ شعره، خصوصاً بعدما قال احدهم، انهم حين بلغوا مرحلة فهم شعره منحوه الجائزة، ولم يكن هذا ليرضي شمس الدين الذي برر للقيمين على الجائزة هذا التأخير.

وكان ان قرأ قصيدة نظمها في بداياته قبل اربعين عاماً. قرأها لأن ما فيها يتناسب وأيامنا هذه منذ عام وبعضه في عدد من الأقطار العربية التي عرفت تحوّلاتها بالربيع العربي، فإذا بالقصيدة مضمخة بالدماء بالضحايا، بالكثير من التداعيات والهدم، بكل ما يخطر في البال من حزن.. وأعطى شاعرنا المبرر لما حصل معه في القصيدة ليقول: إن كل شاعر لا يرى الغد أو لا يرى أصلاً فعليه ألا يكتب ويدّعي الشعر...

كان لقاءً أنيساً، مغذياً للفكر والقلب والوجدان، ما أحسسنا ولو للحظة بأننا ضيعنا وقتنا، بل نحن وظفناه في اروع جلسة يمكن لمتابع ومراقب ومتذوق ان يفوز بها في غمرة الحراك الثقافي الراقي على ساحتنا، مع خيرة من المفكّرين القادرين بعد على اسرنا بنتاجهم وخطابهم وبلاغتهم.

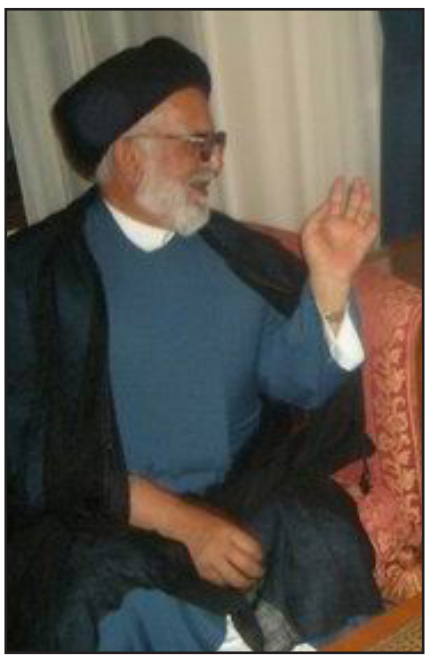

عن جريدة المستقبل اللبنانية

مع الرئيس طالباني وفخري كريم

تمرين عراقي على حماية التعدد العربي

نستطيع ان نتكل على وطنية عراقية عميقة وعامة ومجربة، لنستبعد أي مشروع سياسي يمكن أن تقدم عليه الجمهورية الإسلامية في إيران بخصوص العراق، خصوصا وأن الجمهورية قد اكتشفت بالملموس أن هذه الوطنية هي خيار عراقي عموماً، وخيار شيعي خصوصا، وهذا أصلح لمستقبل علاقة إيران بالعراق والعراقيين من مشروع تتحكم فيه رؤية إيرانية وحيدة الجانب، تجعل إيران بالضرورة في موقع المتحمل لكل ما يترتب على ذلك من سلبيات، بينما تستطيع إيران، قياسا على تجربتها المدروسة مع التجربة الأفغانية بعد طالبان، أن تحرز حضوراً وفعالية في الحالة العراقية خالصة من الشوائب، لا تقوم هذه المرة فقط على الانسجام المذهبي الذي تختزل فيه مستويات متعددة ومعقدة في تركيب الفرد والمجتمع العراقيين، ما لا يمكن عزله أو منعه من التعبير عن نفسه في بنية الدولة الإشكالية.

هـــاني فـحـص

إذاً، قصارى ما يمكن ان تقوم به إيران بالشراكة مع كل المعنيين من العرب والمسلمين بالشأن العراقي، وبما يتصل منه بشؤونهم بشكل خاص، هو ان تعمل بالتناغم مع العراقيين على اختلاف أمزجتهم وحساسياتهم على استنهاض حوار أو حتى سجال ديموقراطي طال الزمان على منعه وكبته، بحيث صار يبدو وكأنه ملغى من تكوين العراقي. وإن لم يتم هذا الاستنهاض، فإن الحرمان التاريخي المتراكم والبالغ ذروته في العهد الصدامي الطويل والثقيل، سوف ينفجر صراعاً لا يمكن تعداد أطرافه والمتورطين فيه، لأنه سوف يؤول عاجلاً إلى حالة إنقسامية حادة داخل كل طرف من أطرافه. وهذا من شأنه أن يفسح في المجال امام المشروع الأميركي المطلي بالكلام الديموقراطي أو الكلام عن الديموقراطية، لكي يتحوّل من مشروع تدميري إلى مشروع إنقاذي، تماماً على الطريقة التي حوّل فيها النظام البائد الحرب عليه من قبل التحالف، من عدوان في النظر العام، إلى تحرير في نظر شرائح واسعة من الشعب العراقي، جعلها القتل والتهميش لا ترى الأمور إلا من منظارها المفصل على أوجاعها وأشواقها إلى النوم، ولو ليلة واحدة من دون كوابيس.

هذا المسلك من شأنه ان يفسح في المجال لتركيب أطروحات أكثرية أي أكثر تمثيلاً للثوابت وتعاملاً مع المتغيرات، مما ينتهي إلى تضييق الهوامش وتظهير الحقائق التي ينبني عليها المستقبل العراقي، موصولا بموروثه الشعبي المقاوم والمعترض حسب الطبيعة التي ينبني عليها المستقبل العراقي موصولا بموروثة الشعبي المقاوم والمعترض، حسب طبيعة وممارسة الطرف الآخر، أي ان التدريب على الديموقراطية والحوار وتوسيع المشتركات وتضييق مساحة الاختلاف والخلاف بين مكوّنات الشعب العراقي ومجموعاته القومية والدينية والمذهبية والسياسية، من شأنه، وعلى المستوى الشيعي، ان يدفع بالمرجعية النجفية إلى الواجهة، وإلى موقعها الذي اعتاد ان يكون حافظاً وضامناً للوحدة، ساعياً إلى العدالة من خلال الاعتراض الهادئ أو القوي من دون صحب أو مغامرة. وعلى المستوى الشيعي فإن المرجعية التي تأتي من العلم والعدالة والحكمة والاقتراب الدائم من نبض الناس، هي التي تؤمن للشيعة مساراً طبيعياً ينفذون من خلاله إلى أطروحة وطنية تستوعب تنوعاتهم وتنفتح على التنوعات الاخرى بعيداً عن أوهام الغلبة والاستحواذ والثأر، من غير الذين ارتكبوا الموبقات بحقها، وحاولوا ان يلقوا بمسؤوليتها على التعدد الديني في العراق، في حين ان من يتوهم البعض انهم كانوا القوة التي يستمد النظام منها شرعيته، السنّة تحديداً، هم أكثر الناس تضرراً من الاستبداد والجرائم التي لم توفرهم. وإذا اعتمدنا الحساب النسبي فإنهم يأتون في كمية ونوعية الأضرار بالدرجة الثانية بعد الأكراد، مضافاً إلى ذلك مسألة معنوية بالغة السوء، أتت من إلصاق النظام نفسه بهم وهم أبرياء منه. في هذا المناخ من الصراحة والتمرّن على قبول الآخر يمكن انتاج طبقة سياسية عراقية بديلة للنظام من جهة، ولكل التراكيب الأميركية المنوي افتعالها من خارج حركة المجتمع الأهلي العراقي من جهة اخرى.

وهنا يتوافر للممانعة المحتملة والمطلوبة ضد أي مصادرة أو استتباع حاضنها الحقيقي وموجهها الذي يوسع نطاقها بمقدار الضرورة ومنع الضرر، ولا يدعها مجالاً للعنف العشوائي، الذي يفيد منه الأعداء في المحصلة، لأنه يتعرى من قاعدته الشعبية بما يرتكبه في حقها وفي معزل عن طموحاتها وقيمها، ويتحول إلى ذريعة لدى قوى الاستسلام وحجة على عدم جدوى الإعتراض.

هنا يحلو الكلام عن دور عربي غير مفكر فيه بواقعية وعقلانية يتناغم مع دور إيراني مفكر فيه بمبالغة ومعمول به بشكل يجعله أقرب إلى النفوذ الذي ستبعد المشاركة منه إلى الدور الذي يتكامل بالدور العراقي. يقدم المشورة والدعم لقوى النهوض العراقي، ويساعدها على الشفاء مما تبقى من حالات العصاب والرهاب فيها، من دون ان يكون هذا الدور المركب والمساعد مسكونا بأوهام المحاصصة، لأن من يطمع بحصة له من العراق لن ينال شيئاً، ومن يطمح بعراق موحد ديموقراطي تعددي هو الذي يربح العراق كله.

على ان المفارقة العظيمة والجميلة والحضارية التي يجب على الجميع ان يسعوا إلى تحقيقها في العراق لتكون علامة على مستقبل العراق، وقفاً على ماضيه المعقد والملتبس، هي ان يكون الأكراد والتركمان والآشوريون معاً شأناً عربياً أولاً، وان يكون الشيعة شأناً سنّياً، وان يكون السنّة شأناً شيعياً، سواء على مستوى الأشقاء والأصدقاء العرب والمسلمين او على مستوى الداخل العراقي. وبمقدار ما ينجز الشيعة العراقيون أهليتهم لحفظ السنّة وحفظ أنفسهم فيهم، بمقدار ما يشجعون إيران مثلاً على اعتبار السّنة في العراق همّاً إيرانياً معادلاً للهم الشيعي. وبمقدار ما ينجز السنّة على العراق أمراً بهذا المستوى في علاقتهم بالشيعة يشجعون السعودية ومصر على التصدي لوظيفتهما في الاسهام في حفظ شيعة العراق على نصاب الوحدة.

وليس الرئيس مانديلا الذي نحترم ونحب أجدر منّا بإبداع المصالحة والمصارحة، ولا نحن عانينا من بعضنا بعضا أكثر مما عاناه شعب جنوب افريقيا في زمن طويل وقاس من التمييز العنصري، ولنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة هذا أوان استذكارها والتمثل بها واتباعها «يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء». كلنا بحاجة إلى سلوك نبوي على موجب التأسي والاقتداء الممكن دائما، أي ان يطلق كل منّا سراح الآخر لينطلق سراحنا جميعاً ومعاً. أمام المخاوف التي يعبر عنها بواقعية مرة ومبالغة شديدة مرة اخرى والتي تأتي من جهة من يسمون أنفسهم ويسميهم أهل العصبيات المغلقة (أقليات) من المسيحيين والعلويين والدروز والشيعة أو السنّة والأكراد والتركمان والصابئة والأيزيدية.. وحتى لا يتحمل الربيع العربي مسؤولية أي اقتراف سلبي تجاه هؤلاء جميعاً.. من الضروري المبادرة الجادة إلى برنامج لحماية التعدد العربي.

(المصدر جريدة السفير البنانية)

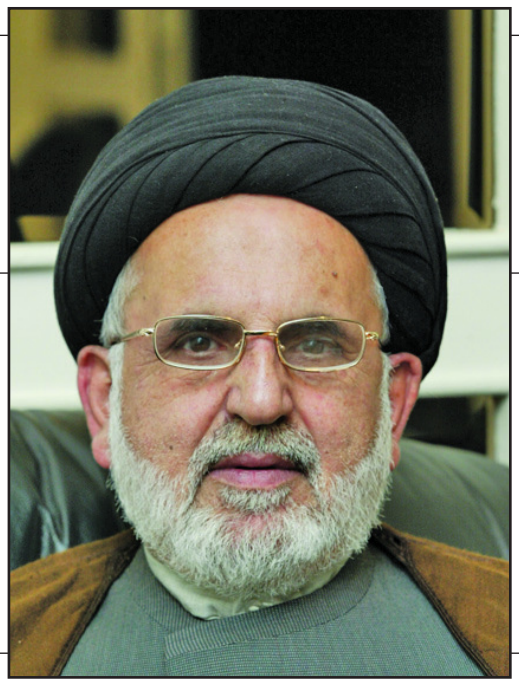

سامي كليب: مرحبا بكم إلى حلقة جديدة من برنامج زيارة خاصة. أول رسالة من ياسر عرفات إلى الإمام الخميني نقلها ضيفنا، وأول سجن عرفه كان في خلال دفاعه عن مزارعي التبغ هنا في الجنوب اللبناني، وحين ذهب إلى النجف في العراق ليدرس أصول الدين وضع صورة تشي غيفارا في غرفته، يسعدني أن أستضيف السيد هاني فحص.

سامي كليب

هاني فحص.. في السياسة والفن والدين

سامي كليب: الصبر كان ضروريا لهاني فحص في حياته، حاول القفز فوق المصير المحتوم آنذاك لأبناء قرى الجنوب مصير زراعة التبغ فقصد النجف عام ١٩٦٣ ليعود منها إماما ولكنه في النجف وفي قريته بعد أن عاد إماما بقي معبرا عن انفتاح أقلق بعض المتزمتين وأنعش روح الحوار والانفتاح بين الحداثيين، وهل صحيح أنك وضعت صورة تشي غيفارا في غرفتك في النجف؟

هاني فحص: إيه وصورة المطران كبوجي، صورة غيفارا شلتها بسرعة، صورة كبوجي طولت.

سامي كليب: شو السبب؟ قُمعت؟

هاني فحص: يعني إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، يعني أسرعت، وبعدين أنا سئلت يعني أنت ليش حبيت غيفارا؟ أنا قرأت مذكراته، قلت لهم حبيت غيفارا لأني قرأت "نهج البلاغة"..

سامي كليب: حلو.

هاني فحص: وحبيت غيفارا لأنه عانى ما يعانيه أنه راح قعد مع الفلاحين ببوليفيا ترك السلطة وراح على بوليفيا قعد مع الفلاحين، ظلوا يتعاملوا معه بمحبة وثقة إلى أن عرفوا أنه هو ثوري، بطلوا ويمكن هم وشوا فيه وبالآخر هم خسروه، هذا العناء لحامل فكرة التغيير بصرف النظر عن كونها واقعية أو غير واقعية وبعدين غيفارا هو الآن أنصف، رح يصير رمزا كاثوليكيا وإنجيليا أيضا.

سامي كليب: صحيح. على كل حال سيد هاني فحص يعني حتى بتجربتك الشخصية..

هاني فحص: (مقاطعا): وكاميليو توريس أنا حبيته كثير، هذا الذي ظلمته الدولة والكنيسة والحزب الشيوعي.

سامي كليب: لا ولكن أنه هو الامتداد أو انفهم الموضوع وكأنه كان عندك إعجاب بالتجربة الإشتراكية الشيوعية إذا صح التعبير، كان في هذا الإعجاب؟

هاني فحص: لا، لا، كان عندي إعجاب بحلم العدالة اللي ممكن ألاقيه برأس المال عند ماركس أو عند إنجلز أو عند كثيرين بس يعني المشكلة أن النظام المعرفي الماركسي ما قبلته أدوات التحليل ما قبلتها..

سامي كليب: ولكن من يولد بجبشيت..

هاني فحص: وما شفت ماركسي عربي حقيقي يضفي على الأطروحة الماركسية شروطها العربية، يمررها، ما شفت. إضافة إلى ذلك هي أنه إشكالية الماركسية من ضمن الحداثة كثير بسطت مسألة الدين كثير بسطته وقياسا على تجارب أخرى، ما بعرف إذا كان ماركس بهالشكل حتى نصه عن الدين أفيون الشعب مبتسر مأخوذ من نص أطول..

سامي كليب: صحيح.

هاني فحص: بده قراءة أكثر تركيبا وبده قراءة ماركس كمان مش بس من فيورباخ، بده قراءة أكثر قراءة بالتاريخ قراءة بالاجتماع. فلا ولا مرة كنت ماركسيا ولا مرة كنت لأنه عندنا يعني.. بس الحلم حلم العدالة من سبارتاكوس إلى الآن بعدني بأحلم فيه.

العلاقة بالأرض وبدايات النضال السياسي

سامي كليب: الحلم عند السيد هاني فحص بقي رفيق حياته ومن يقرأ مؤلفاته يدرك كم أن لمفهوم الحلم دورا كبيرا في كل ما فعل، فهو أراد أن يصبح خياطا كبيرا في بداية حياته ثم أن يصبح ثائرا فانضم إلى فتح فالثورة الإيرانية وحلم بأن يصبح رجل دين ذائع الصيت وحلم بأن يصبح أديبا وشاعرا، ولو اختصرنا حياته اليوم لوجدنا أن فيها جزءا من كل ذلك، كيف لا يحلم من ولد هنا في قرية كان ناسها ذوي ألفة ومحبة قل نظيرها.

هاني فحص: القرية كانت في طفولتنا وحتى فتوتنا يعني حتى أوائل الستينات كانت أهدأ كان الناس يسمعون أصوات بعضهم وينادون بعضهم من أقصى القرية إلى أقصاها وممكن يوصل الصوت إلى البرية أيضا، حتى المؤذن كان يؤذن بدون مايكروفون كان صوته عذبا يشبه الندى يشبه صوت العصافير اللي كانت عاملة حالة أوركسترالية بكل القرى، كان عدد السيارات التي تمر بالقرية أو تنقل ركابها إلى المدينة ما تتجاوز ثلاث أو أربع سيارات وتمر بهدوء وتتحرك بهدوء وكان فضاء القرية كثير مفتوح يعني كنا نشوف القرى الأخرى اللي حوالينا من أي مكان ونشوف السيارة من بعيد، كان الفضاء مفتوحا وإن كان فضاؤنا إحنا فضاؤنا الذهني كان محدودا، انفتح مع انتشار الراديو بأواسط الخمسينيات وصرنا نتابع نفتح ذهننا أكثر في الوقت اللي كان أفق الضيعة عم يتراجع عم يضيق، فهذا شأن الحياة جدل الحياة.

سامي كليب: ابن جبشيت ابن مزارعي التبغ والبيوت الفقيرة ابن الأرض الطيبة التي أنجبت علماء في جبل عامل وشعراء وأدباء بقي حاملا الأرض في كل رحلته العلمية والدينية والأدبية والسياسية فسجن في مستهل شبابه لدفاعه عن أبناء الأرض، وإلى هذه الأرض عاد إماما ولكن أيضا أديبا وشاعرا ومقاوما وناهجا طريق الحوار.

هاني فحص: إيه فعلا أنا حتى بقراءتي للرواية يعني الرواية اللي بيكون مسرحها الأرض والفلاحين هي الأقرب إلى وجداني. عبد الرحمن الشرقاوي، "فرافير" يوسف إدريس، يحيى حقي، إيه الرواية اللي بتطل على الريف، جبور الدويهي بلبنان، توفيق يوسف عواد، "يوميات نائب في الأرياف" عند توفيق الحكيم، المنفلوطي، فلان.. إيه فعلا هذه لقطة مهمة هذه أنه أنا بأقرأ ديستويفسكي بأقرأ "المدينة" بأقرأ "سميراميس" بأقرأ "أولاد حارتنا" بس بعدها الأرض بروايات عبد الرحمن الشرقاوي بعدني بأعيشها. الأرض بتعدي الأرض بتودي عالأرض، الأرض بتودي عالناس –والناس بيتقاتلوا مثل ما بيقولوا– الأرض بتودي على الورد الأرض بتودي على الشعر على الهدوء على الإصغاء، أنت مضطر بالريف تصغي.

سامي كليب: والأرض بتودي على السجن، دافعت عن مزارعي التبغ.

هاني فحص: والأرض بتودي على السجن إيه طبعا تعبير أبو تمام

رعته الفيافي بعدما كان حقبة

رعاها وماء القطر ينهل ساكبه

هذه رعاية الأرض هي بتجسد.. رحت على السجن والله ما بأعرف أنا لما رحت على السجن بعد حركة مزارعي التبغ إجوا الجيش والدرك بدهم يأخذونا فتماسكنا، إحنا شي ثمانين واحدا وفينا ختيارية، أحد الضباط –وهو صديقي الآن– قمت أنا أخذت قرآن وصرت أقرأ، وقف فوق مني وحامل.. فوق رأسي.. بآخر الليل وحامل البارودة وقال لي قم معاوية عملها قبلك. طلعونا على

في حفل للتضامن مع غزة

السيارة على الشاحنة رحنا على الثكنة ثكنة الجيش، حبسونا، نمنا، حاولوا يعملوا لي إخلاء سبيل، رفضت. حركة مزارعي التبغ بتعرف لوين وصلتني؟

سامي كليب: لوين؟

هاني فحص: وصلتني لأكتشف تناقضات اليسار اللبناني والحركة الوطنية اللبنانية لأنه صار تعاملي معهم بهديك الفترة يوميا وأوسع واكتشفت أما هذه مسألة الديمقراطية وكذا يعني أحد القيادات -ما بديش أقول مين هو- عم نعمل تواقيع لحتى نعمل نقابة مزارعي تبغ، قال لي أي تواقيع؟ بدنا شهرين بدنا نعجل زوروها، ماشي الحال، بدنا نسلم دخان كذا ما بعرف شو هو، حكى لنا شو منسوي مع الخبراء قلت له والله يكثر خيرك، المهم اكتشفت هالتناقض هذا وهذا اللي خلاني بتعرف شو؟ خلاني أروح من المسألة المطلبية اللي كنت أراهن عليها إلى المسألة القومية، رحت على فلسطين.

سامي كليب: فلسطين بقيت في قلب وأدبيات السيد هاني فحص ورافقته من النجف إلى لبنان، لا بل هي طبعت جزءا أساسيا من حياته ففي النجف حيث كان طالبا كانت مقالاته الأولى حول النضال الفلسطيني والثورة والتحرير، وحين عاد إلى لبنان ولج إلى قلب العمل الفلسطيني السياسي والفكري والعسكري وذلك حين كان أترابه من أبناء الجنوب يتأخون كفاحا مع فدائيي الأرض السليبة.

هاني فحص: أنا بعد ١٩٦٧ أشرفت على مجلة كلية الفقه المركزية اللي اسمها "النجف"، فلسطين موجودة في كل عدد أدبا وشعرا وقصة، أنا كتبت قصة وقتها عن المقاومة وأبحاث إلى حد التخمة، ما في نادي من أنديتنا ما كانش فيه فلسطين.

سامي كليب: طيب من هذه البذور طبعا انتميت على ما يبدو إلى حركة فتح.

هاني فحص: بهاللحظة هذه رحنا اشتغلنا رحنا استصدرنا أنا مع صديق كتبنا استفتاء للسيد محسن الحكيم عن المقاومة ودعمها ماليا، ابتدأنا نعطي رواتبنا وزكاة الفطرة إلى المقاومة..

سامي كليب: رغم أنه كانت رواتب ضئيلة.

هاني فحص: ضئيلة جدا. وإجانا شخص رجعت تعرفت عليه بمحبة شديدة من قبل حركة فتح اسمه محمد حور كان يجينا الدكتور محمد حور كان يجينا إلى النجف ورتب لنا علاقة معه عبره إلى آخره إلى أن صار الاحتفال بذكرى الرصاصة الأولى وإجا أبو طارق محمد الشرفا وانخبصت النجف، النجف هاجت وماجت على هالمسألة وراحوا زاروا المراجع، فكنا باندفاع غير عادي.

سامي كليب: تقول في الانتماء إلى فتح تعبيرا جميلا "وجدنا في حركة فتح فضاء رحبا يجنبنا المصادرة والاستحقاق والحزبية الضيقة ويحمينا".

هاني فحص: نعم، إيه أنا هيك كانت بالبداية، جئت للبنان علاقتي بفتح من بعيد بمعنى مناصر للمقاومة ككل أدافع عنها..

سامي كليب (مقاطعا): لم تنتم إلى الحركة بشكل مباشر؟

هاني فحص: (متابعا): إلى أن أصبحت معروفا بالبلد وابتدأت أنا ومجموعة من رجال الدين وعلى رأسهم السيد محمد حسن الأمين ومجموعة من الشباب المتدين أيضا نفكر بعمل سياسي، عندنا على المستوى الإسلامي حزب الدعوة إحنا من الأساس ما كنا حاملين أطروحته مش قادرين مش مرتاحين للأحزاب القومية لأسباب منعرفها ميدانية وفكرية وإلى آخره فابتدأنا نبحث عن صيغة عمل عن رؤية، فحاولنا نعمل رؤية وصدرنا مجلات على الستانسل وقتها، مجلة "الأرض" وكنا نوزعها وكتبنا مشروع رؤية تجمع بين القومي والإسلامي بين الوطني والقومي إلى آخره، محاولة، ثم أردنا أن نتكون سياسيا، طيب رح نتكون سياسيا بهاللحظة كأننا خارج الكل فالكل ممكن يمنعونا فبدنا نروح لعند حدا يحمينا، لقينا أن فتح بسعتها، لا حزبيتها، بكونها تمثل تعددية الشعب الفلسطيني وحساسيته ممكن تتعامل معنا دون أن تصادرنا، طلع مش دقيق هذا الكلام!

سامي كليب: بنهاية الأمر صادرتكم يعني.

هاني فحص: بس استمتعنا بشوية حرية تنظيمية لفترة ورجعنا استمتعنا بشيء من وهم الحرية إلى حد ما، حرية.. ما حدا حبسنا ما حدا عمل لنا تعميم تنظيمي ما حدا حاسبنا ما حدا راقبنا، سُمح لنا أن نعترض أن نقاتل أن نطلع على كفرشوبا ونعلن المقاومة اللبنانية ونتعاون مع السيد موسى ونكون ضد الحركة الوطنية ونطلع مجلة ضدها، وفلان بده يحبسنا ونروح لنبطل وفلان، لا، معنا وأبو صالح الله يرحمه ينبه الشباب -جورج حاوي ومحسن إبراهيم محرضينه علي- ينبه الشباب بالعرقوب إنه بتقوسوه، لما قعدت أنا وإياه صار يضحك، إنه شو مساويين؟

سامي كليب: لكن يبدو أن الانتقال للعمل العسكري المباشر كان بعد عملية دلال المغربي العملية الاستشهادية المشهورة.

هاني فحص: نحن بلشنا بالتدريب فعليا مع حرب تشرين مع حرب رمضان، ابتدأنا نوزع الشباب على البرج الشمالي وعلى النبطية على البرج الشمالي تحت رعاية المرحوم الشهيد بلال هذا المقاوم المميز.

سامي كليب: بلال كان قائدا للقطاع الأوسط واستشهد، تماما كما استشهدت المناضلة دلال المغربي التي أرخ استشهادها لمرحلة جديدة في حياة رجل الدين الشيعي السيد هاني فحص، وهو يقول في أدبياته إن هذه العملية أهدته إلى النضال وإن النضال كان آنذاك بقيادة أبي جهاد أحد أبرز قادة الثورة الفلسطينية.

هاني فحص: هذه محطة نوعية، يعني قبل دلال المغربي وقبل أبو جهاد، أبو جهاد كانت علاقتي فيه طيبة من الأساس بس الأساس العلاقة بأبو عمار واللي كان مندوبا من قبل أبو عمار يتابعنا كان هاني الحسن -الله يعافيه- بنفس الوقت تمتنت العلاقة كثير بمركز التخطيط.

سامي كليب: بس وين تعرفت إلى أبو عمار؟

هاني فحص: سمع فيي وتابع وخاصة أيام مزارعي التبغ، فشافهم..

سامي كليب: تذكر أول لقاء بينك وبينه؟

هاني فحص: إيه بأذكر قدمت له الرؤية تبعنا مكتوبة.

سامي كليب: وين حصل اللقاء؟

هاني فحص: بمكتبه بالعمليات بالفاكهاني وقدمنا له رؤيتنا نستشيره فيها وأطلق عليها تسمية، علينا التسمية، هي كانت مروّسة بـ "وإن هذا سبيل هذا سبيلي" فسمانا سبيلي، جماعة سبيلي، ارتاح وانبنت علاقة وفوض هاني الحسن بالمتابعة معنا.

آراء في السياسة والفن والدين

سامي كليب: طيب هل عندك تصريحات تقول فيها إن أجمل الفترات العربية كانت فترة جمال عبد الناصر؟ كنت ناصريا بمرحلة معينة؟

هاني فحص: كنت، لا، يعني.. أنا ما كنتش شيء بالزمان بمعنى شيء بالمطلق وامشي، كنت ناصريا بس قلقا من.. يعني أحب جمال عبد الناصر، قلق، وبعدين يعني شفت أنه في جانبين بجمال عبد الناصر، في الجانب اللي بيخصنا كعرب شيء مريح عظيم الشعور بالذات بعد ضياع بعد تجزئة بعد كذا.

سامي كليب: والجانب الآخر؟

هاني فحص: الجانب الآخر مصر المركزية الاستبداد الحريات التجربة الاشتراكية غير المدروسة، وهذا لم يمنع يعني النهوض طبعا يعني كمان بدك تشوف شيء آخر في مصر، بدك تشوف أنه السد العالي، حتى القرارات الإشتراكية اللي ممكن نعترض عليها منهجيا ما منعترض على آثارها الإيجابية، يعني الحفاة بمصر اختفوا بذلك الوقت بس ما تأسس نظام مصري يراكم ولذلك الحفاة رجعوا الآن.

سامي كليب: على ذكر القادة العرب لك توصيف قاس جدا ضد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، هذا مبرر من وجهة نظرك طبعا ولكن كنت قاسيا..

هاني فحص (مقاطعا): من وجهة نظري شو؟ الشيعية؟

سامي كليب: لا، ليس الشيعية، كرجل دين درست في النجف وتقول إن سبب انهيار النجف كان صدام حسين، وجهة النظر هذه.

هاني فحص: إيه كانت النجف لها دور، كانت لها دور رقابة أدبية على الدولة المركزية.

سامي كليب: السيد هاني فحص طوى مرحلة مهمة في حياته بعد أن توقف دوره في العلاقة بين ياسر عرفات والإمام الخميني ولكنه بقي يحمل فلسطين في القلب والوجدان ويضمها إلى همومه ومشاغله الأخرى، من لبنان حيث ترشح للانتخابات مرتين ولم يحالفه الحظ إلى العراق حيث لا يزال يلعب دور الجامع الموحد إلى إيران حيث يصوب الاتجاه، وهو في كل ذلك يبقى متمايزا في مجتمعه وطروحاته الحوارية المنفتحة، لا بل وفي موقفه من الفنون الموسيقية والمسرحية والأدبية وغيرها، هل يسمع الموسيقا؟

هاني فحص: إيه بأسمع.

سامي كليب: أي أنواع؟

هاني فحص: بأسمع وبس تعلمت يعني لما رحت من النجف أنا كنت هاوي موسيقا وغناء، بطلت.

سامي كليب: ومسرح.

هاني فحص: ومسرح، المسرح ما زلت أعتني فيه ولي تجربتي فيه النقدية، أعتني بالمسرح كثيرا.

سامي كليب: صح وتكتب عن المسرح.

هاني فحص: عودت نفسي أني لا أسمع، ما صار عندي.. لذلك ما عندش تقليد في سماع الموسيقا.

سامي كليب: طيب مسألة أخرى مسألة الحجاب هل هي بالنسبة لك مسألة ضرورية للفتاة المسلمة؟

هاني فحص: أنا أدعو إلى الحجاب بس أدعو إلى المحجبة قبل، ولما بتوصل المسألة مسألة معايير بالتعامل بالدور ما يبقاش الحجاب معيار عندي بمعنى ومش.. حتى للدين، أنا برأيي الحجاب شيء مهم ولكنه شكل ليحفظ مضمونا، إذا خرب المضمون الشكل ما بيعوض وإذا سلم المضمون يمكن يعوض عن الشكل بشرط أنه سلامته يعني بشرط أن المتدينة.. المؤمنة غير المحجبة تلتزم بمستوى من الحشمة اللي أنا برأيي الجسد عظيم ولعظمته ينبغي حفظه وساعتها بيظل الجسد منبع رؤيا.

سامي كليب: طيب سألتك كل هذه الأسئلة سيد هاني فحص للذهاب إلى أبعد من ذلك، إلى الحوار مع الآخر، معروف أنك كنت من بين أوائل الذين دعوا وعملوا ونشطوا الحوار مع الآخر المسيحي أو المسلم هنا في لبنان ولكن ذهبت إلى حد أيضا الدعوة إلى الحوار مع اليهودي وهو أمر طبعا كان في بعض الأسئلة حوله، أنه كيف أن رجل دين شيعي يدعو للحوار مع اليهودي، أوليس في الأمر شيء من الاستغراب؟

هاني فحص: والله مش ملاقي أضعف مني تحاسبني على المسألة هذه؟ طيب الأخوان في إيران فاتحين على الآخر مع اليهود! شو بأسوي بـ ناطوري كارتا ومجموعة هذه جماعة الحاخام عاميرام، ليش ما بديش أحاورهم؟ شو بأساوي مع السامريين، ليش ما بديش أحاورهم؟ نعوم تشومسكي شو بأعمل فيه؟ طيب ما هؤلاء أهل كتاب، المودة لازم تسود.. صحيح بالتاريخ هم خربطوا والقرآن.. بس ما قطع العلاقة معهم والعلاقة معهم محفوظة بالكتابية بنصابها المعرفي الديني، بيبقى أنه عندنا إشكاليتنا الكبيرة -وأنا هون مشكلتنا مع اليهودية هذه- أنه بدنا اليهودي خارج الصهيونية، أنا برأيي تصهينت اليهودية، قديش فينا نشتغل على تهويد الصهيونية تهويد الصهاينة؟ هذه نظريا مقبولة عمليا مع اليهود بدها تدقيق حتى ما يوقع الإنسان في مطبات.

سامي كليب: الحوار الأبرز الذي رعاه وعمل له طويلا السيد هاني فحص كان مع الآخر في بلده في لبنان مع الآخر المسيحي فأقام المنتديات والندوات والمؤتمرات الحوارية ولا يزال يعتبر أحد أبرز رجال الدين وربما أبرز المدنيين العاملين في هذا الإطار.

هاني فحص: أنا أقول إن الحوار مثل زراعة النخل، بتطوّل لتثمر النخلة بس راسخة أكثر وعامة أكثر، السياسي بيشتغل على اليومي، بندورة وخيار ورز وفلان وفلان هؤلاء ضروريين، وبده يرعى النخلة بده..

سامي كليب (مقاطعا): أسألك سيد هاني فحص هل ضروري أن يبقى رئيس لبنان مسيحيا؟

هاني فحص: بحسب ظروفنا المحلية والإقليمية نعم، إلى أن نقيم دولة الأفراد، طالما دولة.. وأنا برأيي بدنا نحرص، بدناش نفقد مكوننا المسيحي مش شفقة عليه شفقة علينا، بدون هذا المكون المسيحي فبدنا نطمنه لحتى يظل شريكا فعليا وأنا برأيي من دعاة أن نكتب ميثاقا على أنفسنا، مش بس رئاسة الجمهورية الحفاظ على المناصفة.

سامي كليب: لتحاور الآخر المسيحي لا شك قرأت الإنجيل؟

هاني فحص: قرأته بشهر رمضان مرة هو والقرآن.

سامي كليب: الإنجيل؟

هاني فحص: نعم وقرأت التوراة.

سامي كليب: هو جزء أصبح جزءا من إيمانك الإنجيل أيضا كما هو..؟

هاني فحص: جزء من أدبياتي الدينية، هو مش قائل لي أكثر من هيك، وبعدين بكعب النص وراء -كما في كعب كل قعر كل نشاط معرفي- في مشترك. فطبعا الإنجيل نص بشري، بعض المطارح بيختلف عن أدبياتنا الإسلامية العامة.

سامي كليب: حين كان السيد هاني فحص يختم هذا الحوار بالحديث عن الانفتاح على المسيحي كان لبنان كعادته في مواسم الانتخابات يعزز الاصطفاف المذهبي والطائفي وكأنما الدعوات للحوار في بلد الطوائف المتعددة والمذاهب المتنافرة ليس أكثر من زهرة بين صخور صلبة، "لا بأس" يقول السيد هاني فحص فـ"أن تضيء شمعة أفضل من أن تلعن الظلام"، أو يقول على لسان الجواهري:

هاني فحص:

نامي جياع الشعب نامي
حرستك آلهة الطعام
نامي على زبد الوعود
يداف في عسل الكلام
نامي فإن لم تشبعي
من يقظة، فمن المنام

عن برنامج زيارة خاصة
قدمته قناة الجزيرة

هاني فحص... سنبلة خير أحناها امتلاؤها

سامي الجواد

لم يكن تعبير (حبة قمح مسمومة) الذي اختاره هاني فحص، السيد العلامة، على متن هذه الصفحة في الأمس القريب، إلا تعبيرا عن خطورة الجرم الذي يرتكب يوميا في حق القضاء اللبناني ومن خلاله في حق المواطن اللبناني وفي حق الوطن في نهاية المطاف. هذا الجرم الذي لا يستحق مرتكبه أقل من جزاء على السموم التي يتسبب بها فساد القضاء وخضوعه لمعطيات السياسة.

لربما وقع السيد هاني فحص في الشبهة حين أمل للدولة ولادة وشيكة، ولربما تخطى المثال ولامس الخيال عندما بدا ضنينا على ما تبقى من قضاء وقضاة، لكن سماحته يكشف في ما صدر عنه، عن حنين فيه قديم لقيام الدولة السيدة، كما يكشف عن ميل فيه أصيل، بل عن التزام صارم بالمحافظة على القضاء كصمام أمان لاستقرار المجتمع ولحفظ كرامة الفرد فيه كما حقوقه.

لم يتحدَّ السيد المتنور ذو الصداقات الواسعة محليا وإقليميا، عربيا وإسلاميا، لم يتحدَّ صديقه وزير العدل بأن ينجز ما وعد به من خطوات في سبيل إصلاح القضاء لمعرفته بوجود علة ما في نفس الوزير القرطباوي، لقد كان التحدي لأن السيد هاني يعلم علم اليقين بأن الإصلاح في هذا البلد دونه خزائن يجب أن تُفضح وأياد يجب أن تقطع ودونه قبل هذه وتلك نفوس مريضة يحدوها الأنا ويدفعها الشغف في الحكم والتسلط إلى استباحة المحظورات وهتك الحرمات.

رسالة السيد هاني فحص واضحة المنطلق ونبيلة الهدف، لكنها في آن حجة عليه، ليس في مضمونها ونحن نعلم تاريخ سماحة السيد وحاضره وطيب سمعته، إنما الحجة عليه في ذلك بأن تكون خطوته متبوعة بخطوات لرفع الصوت، إلى من يهمه الأمر، بل لأول من يهمه الأمر، أعني به الشعب ومن بعده لكل من يسمع، رفع الصوت المسؤول والواعي والصادق لفضح الواقع السياسي المفسد الذي أنتج الواقع القضائي الفاسد.

صاحب السماحة، خوفك هو خوفنا، فنحن أولادك وأحفادك، وكتبك ودفاترك هي مناهل ثقافتنا الخلقية والدينية والوطنية الأصيلة، وطنك هو الوطن الذي نحلم به.

صاحب السماحة، عندما خرج سيدنا الحسين لطلب الإصلاح في أمة جده، إنما انطلق من واجبه أولا و من الواقع الذي اختبره في تلك المرحلة حيث قال: ألا ترون الحق لا يعمل به و الباطل لا يتناهى عنه.

هاني فحص، السيد العلامة، ذو الثقافة الواسعة والاطلاع الدقيق، الملم بأخبار وأحوال محيطه والمشارك في إنقاذ الواقع الثقافي، رفيق الثورة الإيرانية ورجل الحوار الأول، أنت لست حبة قمح مسمومة، نحن وإياك سيوف مسلولة في معركة إحقاق الحق.

هاني فحص، لك لقبك وصفتك، ولنا موقفك ورأيك، سنبلة خير أنت، أحناها امتلاؤها.

هاني فحص للمدى: الخلط العشوائي بين الدين والسياسة يمحقه ولا يرتقي بالسياسة

في جلسة حوارية صريحة وجريئة عقدت على هامش معرض أربيل الدولي السادس للكتاب الذي نظمته المدى بالتعاون مع وزارة الثقافة الكردستانية، شخص المفكر هاني فحص ابرز مشاكل مجتمعاتنا، من خلال تسليطه الضوء على التجربة اللبنانية كنموذج في قصور الفهم لقيم المجتمعات ذات المكونات المتعددة، ليشير الى ان العيش المشترك ضرورة يصنعها الناس.

الفعالية الثقافية التي حضرها وزير الثقافة في حكومة إقليم كردستان كاوه محمود وجمع من المثقفين والكتاب والمواطنين، استهلت بتقدمة جميلة لممثل وزارة الثقافة الكردستانية قال فيها: في هذه اللحظات نصغي ونتحاور مع هاني فحص كمرجعية فكرية مهمة له صوت مميز ينبعث من الاعماق يجمع فيه بين الجانب الفكري الفقهي والسياسي والادبي، لذا فهو صوت مسموع لانه يؤمن بالحوار ويراه ضرورة لكي نستمر ونستطيع تحريك الساكن فينا.. ثم بدأ فحص محاضرته بمباركة اقامة المعرض حيث قال: ابارك لكم هذا البستان الجميل في أربيل لما يمثله من اغناء فكري يشبه غنى أربيل بجمالها وإصرارها على النهوض والعمران. واضاف قائلاً التمس العذر منكم سلفاً لاني لم اكتب نصاً متماسكاً اقدمه في هذه المناسبة، فانا مثلكم اعيش في هذا الجو او المناخ المتوتر الذي يشدنا فعلاً الى كثير من الفرح بسقوط الباطل من دون ان يحررنا من القلق على المستقبل، خاصة وان اوجاعنا واحلامنا واحدة.

وتناول الفحص التجربة اللبنانية التي عاشها كنموذج في استخدام بعض الاطراف تعدد المكونات لتحقيق مصالحها على حساب الفقراء والمحرومين فقال: في لبنان عانينا على مدى عقود مشكلة تحول المتعدد من اتجاه التواصل الى التقابل فانفجر الوضع، مشيراً الى ان الحروب تقوم دائما بين تلاقي اسباب الداخل مع الخارج.. بين الاستعداد الداخلي والتدخل الخارجي، فبعض الحروب في لبنان كان لابد من اطالتها وزيادة بشاعتها، فلم تجد اي من الاطراف افضل من التعبئة الدينية وشعاراتها وزيادة شراستها، واستطاعوا على مدى عقود ان يخفوا وان يبعدوا عن وعي الناس اسباب الحرب التي نستطيع ان نسميها اهلية.

وشدد على ان الذي حصل ان الذين خسروا هم الفقراء والمحرومون من كل الطوائف والذين ربحوا هم اطراف متناقضة ظاهراً متفقة اصلاً ومن كل الطوائف ايضاً. وخلال فترة الحرب استخدم على مستوى دولي مصطلح اللبننة اي تفكيك الموحد وتصعيد الخلاف ورفعه الى مستوى الصراع.

وعرج المفكر هاني فحص على اتفاق الطائف والتسوية التي نتجت عنه، مستنتجاً ان كل ثنائية تختلف اطرافها، لكن لابد من ان تحصل تسويات لانها اذا لم تحصل فالنتيجة مزيد من الخرائب فالتنازلات العادلة تقلل الخسائر. ويضيف مع الطائف تصدت مجموعة من اللبنانيين الى تسييل هذا الاتفاق اجتماعياً وثقافياً. وشدد على ان لبنان ملزم كما قدم نموذجاً في الاشتباك في الحرب والصراع بين المتعدد، ملزم ان يقدم عنواناً آخر في اللبننة وكيف يلتئم المختلف ويرجع الى العيش المشترك وصولاً الى بناء الدولة المدنية، فاذا انفجر الصراع بين المتعدد فعودته الى وحدته اسهل من الواحد اذا انكسر، لذا فبتقديري ان مستقبل لبنان يبقى اسهل من مستقبل ليبيا و اسهل من الجزائر ومن الصومال، فنحن في لبنان حتى اثناء الحرب لم ننقطع عن الحوار، فالقومي والديني ليسا ضمانة، اقول هذا الكلام رغم ان المشهد اللبناني خطير حالياً. لكن النتيجة ان العيش المشترك يصنعه الناس فهو ارادة الحياة وشرطها، عندما يكتشفون ان الاخر شرط للذات، فانا لايمكن ان اعرف نفسي اذا لم يكن الاخر في وعيه، وعندما نكون متماثلين تكون الصورة نمطية ويصبح الفكر سطحيا، فالحوار والعيش المشترك ان افكك هذه الصورة النمطية في نفسي وعند الآخر.

وبعد عرضه لنماذج عن خطر عدم قبول الاخر خلص الى ان الخلط العشوائي بين الدين والسياسة يمحق الدين ويعيله ولا يرتقي بالسياسة، فالدين والسياسة حقلان معرفيان تختلف إلياتهما في تحصيل المعرفة والوصول اليها. وقال متسائلاً لماذا العلمانيون العرب جعلونا نخاف العلمانية هم على خطأ وكذلك نحن، فالدين حارس نظام القيم وهو ضرورة، لكنه اذا انتج الدولة خربها والعكس صحيح أيضاً، الان في لبنان الانقسام السياسي نزل الى مستوى آخر اجتماعي وبدأنا نسمع شعراً مسيحياً وشعراً مسلماً رواية مسيحية ورواية مسلمة رغم ان اصحابها ليس لهم علاقة بذلك ووصل الامر حتى لرياض الاطفال.

ثم عرج فحص على الوضع في العراق مشيراً الى انه رغم اختلاف الظروف ومع تبشيره بان يكون العراق نموذجاً، فانه خائف الان عليه، وقال ان خسارتنا ستكون مضاعفة اذا لم ينهض العراق ولن ينهض اذا لم ينهض بكل مافيه. وقال ارجوكم كعراقيين وفي هذا الجو الملبد ان تلحوا على صناعة النموذج العراقي التعددي.

جريدة المدى ٢٠١١

في شارع المتنبي في حفل افتتاح بيت المدى

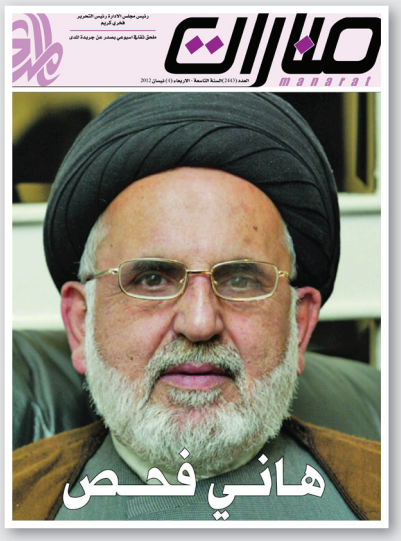

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
ديار خالد

التصحيح اللغوي
محمد حنون

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

في كتابه "ماض لايمضي" ..
هاني فحص: أنا عراقي أيضاً

سعد هادي

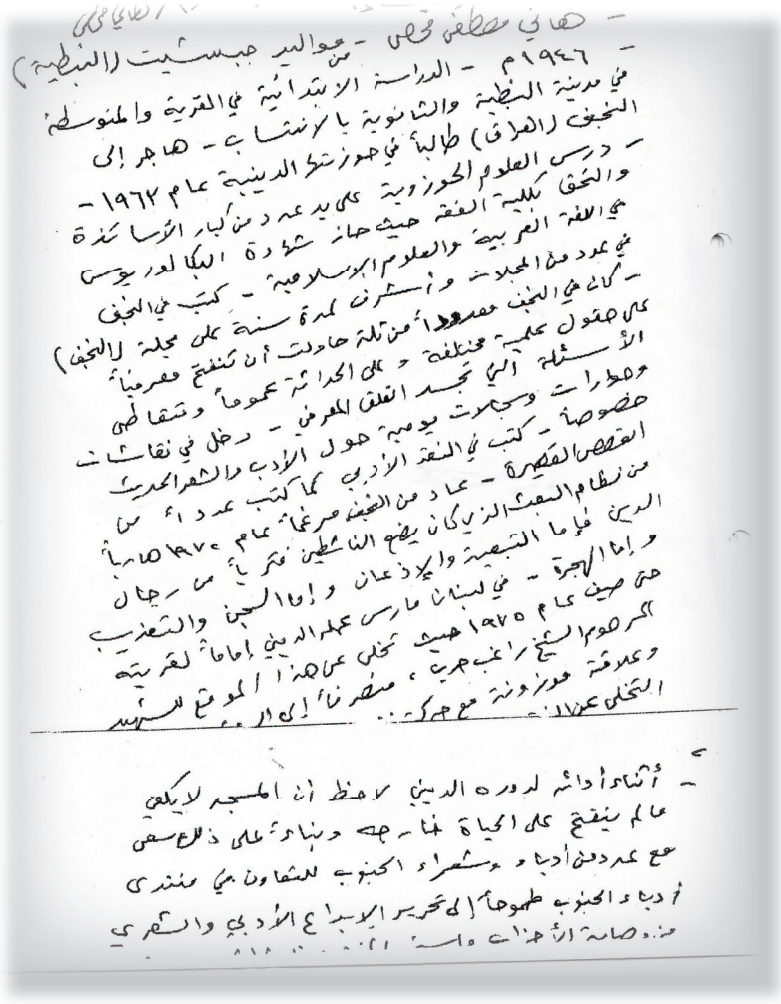

يشهر "هاني فحص" منذ الصفحات الأولى لكتابه (ماضٍ لا يمضي- دار المدى ٢٠٠٢) مواطنيته العراقية التي لا تقل عن مواطنيته اللبنانية عمقاً ووهجاً، بل هو يجد كما يقول احتياطه الذهبي الوطني في العراق حتى لا يذهب إلى اللامكان، وعبر فصول كتبت في سنوات مختلفة يروي فحص ذكرياته في بلاد الرافدين التي بدأت عام ١٩٦٣ حين أنتقل من قرية جبشيت في جنوب لبنان مباشرة ومن دون المرور بمدينة أخرى إلى النجف ليدرس في حوزتها، إن النجف بالنسبة إليه هي كل العراق ومنها انطلق إلى حي كندة في الكوفة المجاورة حيث لعب المتنبي وظل يلعب بالتراب والدنيا وماء الفرات حتى لعب بماء الشعر، ثم يواصل رحلته إلى كربلاء وبغداد والأهوار، متذكراً وجوه أصدقائه وأساتذته:

الجواهري، السياب، مدني صالح، مصطفى جمال الدين، مظفر النواب، حسب الشيخ جعفر، معرجاً على ماضيه منذ أن كان يراهق بالكتابة في مدرسة بالنبطية، مازجاً بين الذكريات والاعترافات، مضيفاً إلى ذلك أيضاً تصويراً فريداً لنسيج العلاقات الفكرية والاجتماعية داخل الحوزة النجفية المغلقة على ذاتها والمنطوية على أسرار إعلامها، كما يقدم مراجعة لأساليب التدريس فيها تقترب من أن تكون نقداً، ولكنه نقد لا يذهب بعيداً في تطرفه، إن تلك الأساليب تعود كما يقول إلى حالة أقرب للبدائية تتيح علماً وجهلاً، بنفس السهولة أو الصعوبة من دون مانع من أن ينطلي الجهل ويلتبس بالعلم إذا ما توفرت له ظروف مؤاتية.

أما أهل التجديد في الحوزة فقد نظر إليهم دائماً كأدباء أكثر منهم علماء لأنهم تورطوا في كتابة الأصول والفقه بلغة جديدة وترتيب جديد، بينما كان السائد هو الانشغال والاشتغال على العبارة الغامضة والمدورة والاختزالية، إن ذلك يعبر عن صراع غير معلن كما يلمح بين القوى التي تتحكم في الحوزة مثلما يعبر أيضاً عن تنظيمها الاقتصادي الصارم كمؤسسة تاريخية ذات تراتبية لا سبيل إلى اختراقها، وقد جاء انتقاله هو مفاجئاً أوائل الستينيات من لبنان المهموم بآخر أسئلة الحداثة إلى الحوزة الدينية في النجف المهمومة بأول أسئلة الحداثة، النجف التي كان يطغى فيها جدال مستمر بين الصراط والواقعية، وبين ثنائيات وإشكاليات أخرى، بعضها مظهري وسلوكي وبعضها الآخر فكري، إن ما قام به طلبة العلم اللبنانيون في الحوزة مثلاً عزي إلى لبنانيتهم الحداثوية أكثر من أي شيء آخر، فبعد أشهر من التزامهم بالمداس انتعلوا "الكندرة" محتملين نقداً خفيفاً ودون خوف من أن يؤدي ذلك إلى حجب رواتبهم الضئيلة بعد تفسيقهم، ولم تمر سنة حتى تجرؤا على وضع الساعة في معاصمهم، مع الحرص على إخفائها في بعض المجالس، ثم ضرب البعض منهم ضربته الكبرى فارتدى البنطال تحت الجبة، ولكنهم تأخروا في تجربة ارتداء القميص الملون، وبعد ذلك بزمن جربوا ارتداء القميص بالياقة الحديثة، ومن خلال ذلك بدؤوا بالتسرب إلى حيز أعقد في إشكاليته بقراءة المجلات العربية الأسبوعية، ثم الانتقال إلى الدوريات الأدبية والفكرية:

الآداب والفكر المعاصر والكاتب والهلال ثم الطريق والطليعة، ويضيف فحص: كنا قد امتلأنا بهموم الحداثة شعراً وراوية ومسرحاً ونقداً، ولم يكن بدعاً أن يجري في مجالسنا حديث عن الدادائية والسريالية... كان هناك إقرار بجديتنا وطرافتنا وخطورتنا، ولأن المحدد الأول والرئيس للنجف هو العلم والثقافة فإننا لم نقرب السياسة إلا لماماً، إلى أن كانت النكسة ففجعنا، لندخل في جدل ثقافة النكسة وثقافة النهوض. ويروي فحص أنه مع بدء العمليات الفدائية وسماع الشيفرات في الإذاعة صار حلمه أن يخوض عمليات عسكرية فدائية يخطط لها بسرية تامة لتدمير العدو في لحظة واحدة، كانت الأهداف تتغير كما يقول بحسب تصوره الساذج لمركزية الهدف أو بحسب مزاجه:

من الكنيست إلى مجلس الوزراء العبري إلى الهستدروت إلى المفاعل النووي في "ديمونة" وعليّ وعلى أعدائي يا رب، كان يحلم أيضا بأن يتحول إلى صاروخ خرافي، مشيراً إلى أن ذلك ربما ترسخ لديه من الحالة الكوسموبوليتية التي انتقلت عدواها إليه ممن عاشر من القوى القومية والإسلامية والأممية، ولاحقاً تحولت تلك الأحلام بسبب التطورات السياسية إلى كوابيس متصلة، اضطرته إلى أن يهرب ثانية إلى القرآن والشعر والتاريخ والحوار اليومي والجدل المتوتر ورفع منسوب الوعي السياسي الذي كان يفتقر إليه، مؤكداً أن ما تعاطاه لم يغتن منه أو به كثيرا على عكس ما سجله بعض الإطلاقيين من خطباء الإسلام السياسي "كما يصفهم" عليه، من إنه ذهب إلى النجف على خلفيات سياسية قومية واشتراكية. وحين عاد إلى لبنان عام ١٩٧٢ بدت الإقامة الطويلة في الأحلام أمراً مضنياً فدخل في مشروع أدبي ثقافي ثم انخرط في المقاومة وفي الجدل اليومي بين الفعل المحرر والوجع المبرح، وظل أيضاً مدمن أحلام، ولكنه حول حلمه إلى اتجاه آخر، تنموي نهضوي تربوي شامل، وبدأ يقضي ساعة أو ساعتين قبل النوم غارقاً في شؤون بستانه المرتجى الذي اختار له أرضاً في "الوطى" بين قريته وقرى أخرى، ولكنه بعد أن فشل ذلك الحلم بسبب تردي الحالة السياسية في لبنان انتقل إلى حلم أكثر تواضعا وخصوصية، يكتفي فيه ببيت في مساحة "دونم" واحد على مرتفع من مرتفعات ضيعتهم، ولكن في إحدى لحظات استعادته لذلك الحلم اقتحمت زوجته عليه المكان والزمان والحال لتطالبه بمبلغ من المال، وتتوالى ذكريات هاني فحص بين النجف ولبنان، كما تتوالى اعترافاته وتلميحاته الإنتقادية وردوده على منتقديه، هو الذي لا يتقن حتى الآن كما يقول تثبيت عباءته على كتفه ولم يتعود تمشيط لحيته ولا يحسن لف عمامته ولا إصلاحها، مازالت ذاكرته ترهقه بقوتها وقد حرمته من كثير من النوم الضروري لصحة الروح والعقل والوطن والأمة والجسد

شجرة أرز في العراق

علي حسين

اعترف بأنني خسرت كثيرا حين لم التفت منذ البداية لكتاب هاني فحص " ماض لا يمضي " الصادر عن دار المدى وهو الكتاب الذي يروي فيه ذكرياته في العراق والتي بدات عام ١٩٦٣ حين انتقل من قريته في جنوب لبنان إلى النجف ليدرس في حوزتها.، ثم ينطلق الى الكوفة ويواصل رحلته إلى كربلاء وبغداد ومدن العراق الأخرى، متذكّرا وجوها احبها وعاشرها، وكانت بالنسبة الية اكثر من صديق وأستاذ، الجواهري، السيّاب، مدني صالح، مصطفى جمال الدين، مظفّر النواب، حسب الشيخ جعفر.

التقيت هاني فحص في مناسبة جمعنا فيها الأستاذ فخري كريم وكان كما توقعته مرهفا كالنصل، لا يعرف المناورة، ممتلئا بالهم الإنساني، عاشقا للعراق الذي لم يفارق وجدانه لحظة واحدة، مسكونا بالحياة والعدالة الاجتماعية، ظل يتحدث عن الواقع العراقي بحماسة لن أنساها، كما لو كان يتحدث عن حبيب له اوبشارة يزفها للناس، حتى لكانك تحس بان الرجل شجرة ارز زرعت في العراق،وكنت أتطلع الى ملامحه الهادئة وهو يتحدث مسترجعا كتاباته عن العراق الجديد الذي يحلم به، كما لو كانت كلماته تكشف لي عن ابعاد جديدة لهذه الكتابات التي ظلت تدافع عن الانسان ضد سلطة الإرهاب والقمع، وبقدر ما كانت هذه الكلمات تجسد لي صورة المثقف الذي نحتاج اليه، كان صوته يحمل الكثير من ملامح المثقف الملتزم والتي جسدها في كتابه " ماض لا يمضي " وفي مقالاته التي ينشرها بين الحين والاخر، المثقّف الذي امن بان العقل خير وسيلة لانقاذ الانسان من الظلم، وان الله عادل لا يقبل بعبادة الذل والفقر، وان هزيمة الشعوب لا تأتي الامن جور حكامها وتخاذل مثقفيها الذين تلهيهم ورطات الدنيا فلا تمسهم معاناة الناس، ظلت الكتابة ولا تزال صليب هاني فحص الذي يحمله اينما حل، فهي رؤياه التي أتاحت له سفراً دائماً نحو الحرية، وأتاحت لقرائه معرفة خفايا هذا العالم الذي اغلقوا ابوابه على أنفسهم كي لا يخرجوا الى ساحة الممارسة الحرة لجسارة العقل الاجتماعي والسياسي والفكري.

في أسلوب عذب مثل مياه الجداول يقدم لنا هاني فحص في كتابه " ماض لا يمضي " سيرة لها عبق من التاريخ مازجاً، فيها بين الذكريات والاعترافات.مقدما للقارئ تصويراً فريداً لنسيج العلاقات الفكرية والاجتماعية داخل مجتمع الحوزة النجفية، باعتباره مؤسّسة تاريخية ذات تراتبية لا سبيل إلى اختراقها. لكنه يقدم لنا صورة لما قام به طلبة الحوزة من اللبنانيين، وفي صفحات مليئة بالحنين يتذكر كيف ان هؤلاء الطلبة تجرؤا على وضع الساعة في معاصمهم، مع الحرص على إخفائها في بعض المجالس، ثم ضرب بعضهم ضربته الكبرى فارتدى البنطال تحت الجبة. ومن خلال ذلك، بدأوا بالتسرّب إلى حيّز أعقد في إشكاليته بقراءة المجلات العربية الأسبوعية، ثم الانتقال إلى الدوريات الأدبية والفكرية و"الفكر المعاصر" و"الهلال" ثم "الطريق" و"الطليعة". ويضيف فحص: " كنّا امتلأنا بهموم الحداثة شعراً وراوية ومسرحاً ونقداً، ولم يكن بدعاً أن يجري في مجالسنا حديث عن الدادائية والسريالية... كان هناك إقرار بجدّيتنا وطرافتنا وخطورتنا. ولأنّ المحدد الأول والرئيس للنجف هو العلم والثقافة، فإنّنا لم نقرب السياسة إلا لماماً، إلى أن كانت النكسة ففجعنا، لندخل في جدل ثقافة النكسة وثقافة النهوض".

يؤمن هاني فحص بالانفتاح الفكري على العالم المتقدم والتفاعل الخلاق مع عوامل تقدمه، مع صيانة الحرية الفكرية واشاعة ثقافة الاستنارة المدنية المعتمدة على العقل والعلم وحرية الابداع في كل مجالاته و هو يقدم لنا مثالا للمفكر الاصيل خصوصا في احترامه لحق الاختلاف وتشجيع محاوريه ومريديه على ان يختلفوا معه، والمفارقة الدالة حقا في حياة هاني فحص رجل الدين الذي لا يتقن حتى الآن، كما يقول، تثبيت عباءته على كتفيه، ولم يعتد تمشيط لحيته، ولا يحسن لف عمامته ولا إصلاحها، هي علاقته بقوى اليسار وتعاطفه مع مناهج الكتابة اليسارية، والمؤكد ان ليبراليته والذهن المتحرر الذي تنطوي عليه كتاباته كانت ولاتزال هي الاصل وراء سماحته العقليه، وهي التي اعطتنا كاتبا لا يتردد في تسليط الضوء على كل بقع الظلام.